

الكتاب العربي السعودي 

عبد الرحمن المعمّر

# البرق والبريد والهاتف وصلتها بالحب والأشواق والعواطف

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
جدة - المملكة العربية السعودية



الكتاب العربي السعودي  ١٠٣

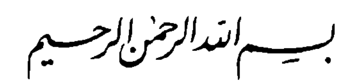
عبد الرحمن المعمر

2017

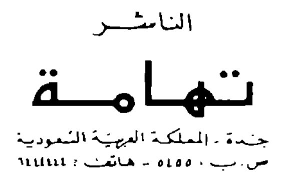
# البرق والبريد والهاتف وصلتها بالحب والأشواق والعواطف

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
جدة - المملكة العربية السعودية


Twitter: @abdulllah1994


بسم الله الرحمن الرحيم


Twitter: @abdulllah1994


الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف : ٦٤٤٤٤٤٤


Twitter: @abdulllah1994


Twitter: @abdulllah1994

# الإهداء

إلى القلوب التي تخفق عندما يقترب ساعي البريد
ويزداد خفقانها بسماع صوت الحبيب ..
إلى الأيدي التي ترتجف رعدة وشوقاً وهي تفض
ختم الكتاب وتتلو آيات العتاب .
إلى كل ساهر وساهرة .
إلى حاضني الهواتف في ظلمات الليل التي تشقها
سيوف البرق .

أدفع بهذه الكلمات وأقدم هذه الخطرات

عبد الرحمن المعمر


Twitter: @abdulllah1994

# مقدمة

إن نظرة سريعة إلى الغربة، أو الحب، تطلعنا على أسباب تعلق المغتربين والمحبين بوسائل الاتصال المعهودة، وغير المعهودة مما يرقى إليه خيال المشتاق في ساعة من ساعات الأشواق.

ويجب ألاّ يغيبنّ عن البال الدور الكبير الذي تضطلع به وسائل الاتصال المعهودة من بلّ أشواق المحبين، وإطفاء نار حنين المغتربين.

وحين يأتي الباحث وراء وسائل الاتصال التي يبحث عنها المغتربون أو المحبون، فإنه يذكر البريد، والبرق والهاتف، و يذكر الريح، والطّيف، والبدر، والنجم، والشجر، والقَطْر، والنّدى، وتنفّس الصبح، وعسعسة الليل، وربما عنّت بباله أمور صغيرة جداً لا تعنّ للآخرين يراها ذات صلة كبيرة بمن يحب، فيسقط عليها الأشواق والعواطف.

في نهاية المطاف يتأكد للباحث أنه لم يحظ شيء في الدنيا باهتمام المحبين والعاشقين خاصة مثل ما حظى هؤلاء الثلاثة: البريد، البرق، الهاتف دون الوسائل الأخرى. فالمحب يريد أن يصل إلى محبوبه أسرع من البرق، ولا يريد لهذا البرق أن يكون خلّباً، فتراه يسعى إليه سعياً حثيثاً ليجعل منه برقاً معه الغيث العميم والنفع الغزير، يطفىء بماء الوصل نار الجوى وحرّ الأشواق.

والمتابع لأحوال المحبين والمغتربين يشاهد بعينه، و يسمع بأذنه عن البريد، ومكانته الكبيرة في نفوس هؤلاء الشيء الكثير، وطالما تردد ذكر البريد وتكرر اسمه في قصص الحب، وأفلام العاطفة، أو أغاني المحبين، وأناشيد المغنين، وهذه حكاية قديمة تكاد تكون أزلية.

وقد ردّده المغتربون، وأحبه العاشقون، لأنه الوسيلة الإعلامية الأولى بين المحبين، و بين المغتربين، وحكايات بريد العشاق كثيرة معروفة، لا يسبقها إلا بريد المغتربين المهاجرين؛ وهم أيضاً عشاق لكن من نوع آخر.

وأكثر من هذا وذاك، دور الهاتف في إطفاء نار الأشواق والعواطف، فهو أكثر من شقيقيه حظوة وحظّاً في زماننا هذا. وإذا كان البرق رمزاً بين المحبين، وعلامة شوق ونقطة لقاء بينهما، وإذا كان البريد يحمل أوراقا تفوح منها روائح الخلاّن وأخبار الأفراح والأحزان، إذا كان ذلك في البرق والبريد فإن الهاتف له قيمة كبرى في نقل صوت المحبين، وهمهماتهم وتأوّهاتهم، وتنهداتهم مدبّجة بأحلى الأحاديث، مموسقة بسقسقة الضحك، أو أنين الشجي والحنين.

عليه يسقط المحبون كثيراً من مظاهر الشوق والغرام، والحب والهيام، فهو إلى جانبهم دائماً،يتمسحون عليه، و يتقربون إليه، وإلى جانبه المزاهر بريحها وريحانها، وزهورها، و ورودها المختلفة، فإذا رن جرسه فزعوا إليه بخفّة ونشاط، وأمل سماع صوت الحبيب.

مكانه بين الحنايا وعلى الصدور. و يأتي صوت الحبيب هامساً، و يبدأ الكلام والسلام، والسماعة تكاد تدفع الآذان إلى داخل الرأس، والشفاه تكاد تقفز إلى داخل السماعة، وتبدأ القلوب بالخفقان، و يغص الحلقوم باليسير من الريق، وتتلعثم الشفاه بالكلمات، وتتكسر وتضيع، و يعود المحبون إلى انتقاء الكلمات الخاصة من نسيج الأشواق، وعبير الحبيب الذي يتنسّمه المحبّون عبر أسلاك الهاتف معبرين عن الحب والعواطف.

تلك أهم وسائل اتصال المحبّين، ولكن ليس لنا أن ننسى الريح والطيف، ولو

أن حديث الريح أوسع وهو قديم بين المحبين، فمنذ القدم البعيد كانت الريح بريداً تنقل العواطف، وتوصل أشواق العشاق، وتقوم بمهام أخرى ذكرها القرآن.

وسائل كثيرة يقوم بها المشتاقون والعاشقون بالغريزة والفطرة، وأمور أخرى لا تدرك بالدرس والمران، لكنها الأشواق والذكريات وليالي الفراق، وعندها سنقف وقفة أُنس؛ ونظرة نلقيها على أدب البريد والبرق والهاتف، هي روضة من الرياض العاشقة فوّاحة، صدّاحة، نريدها أنساً للمغتربين، وأنساً للعاشقين في ليالي الحرمان.

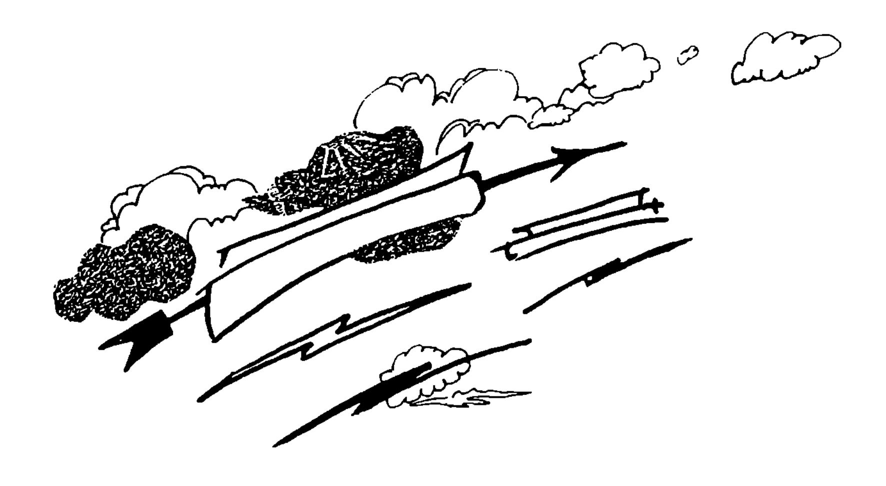
وما هي إلا باقة من دوح أدبنا العربي الكبير، فإن وفّقت في قطفها، وأدخلت الفرحة على قلوب العاشقين وخففت حنين المغتربين أكون قد أفلحت فيما سعيت إليه من هدف في بيان أثر البريد والبرق والهاتف في تخفيف الأشواق والعواطف، وإلاّ فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

المؤلف



١

# البرق في الشعر العربي




Twitter: @abdulllah1994

# ١

# البرق في الشعر العربي

اقترن ذكر البرق بالفأل الحسن وانتظار المطر وما يعقبه من خصب في الأرض وعرف العربي منذ الأزل سرعة ومض البرق فدعا بأن تمطر السماء ديار الحبيب فتخصب وتعشب، وتكرر ذكر الحجاز ونجد، و بغداد والشام واليمن، وسائر بلدان الجزيرة في أشعارهم، وجاشت خواطرهم بما تكن الصدور من هوى مكبوت وحب ملجوم:

إذا لاح لي من نحو بغداد بارق  تجافت جنوبي واستطير هجوعها
سقى جانبي بغداد كل غمامة  يحاكي دموع المستهام هموعها

* * *

وهتف الهاتفون (بالحجاز) وترددت هذه العبارة (سقى الله الحجاز وساكنيه) في كثير من الأشعار، فإذا ذكر الحجاز فاضت دموع المحبين، فالحنين إلى الحجاز والشوق إلى بطاحه ما انفك يثري الأدب بألوان من الشعر، و يغري الشعراء بشيء من القول.

فهذا أبو بكر العبدي المتوفى سنة ٥٨٠ هـ، وقد تمكن منه الهوى الحجازي فلا يستطيع له دفعاً ولا تحويلاً:

لي بالحجاز غرامٌ لست أدفعه  ينقاد قلبي له طوعاً و يتبعُه
يهزّني البرقُ مكياً تبسّمه  إذا تراءى حجازياً تطلّعُه
و يزدهيني لقاء الوفد ألحظه  من جوه وحديث الركب أسمعُه

وفائح الريح مسكيّاً تأرجحه ... من طيب ريّاه نديّاً تضوّعُه

إلى أن يقول مخاطباً البرق :

قل للأحبّة عنّي قول من حنيت ... على الوفاء لهم والشّوق أضلعُه
هل حافظ عهدي ودّي من حفظت له ... على النّوى عهد ودٍّ لا أضيّعُه
أم هل تجرعه مما تجرَّعني ... في البعد كأس الأسى أم لا تجرّعُه
وهل يهزّ ادكارى قلبه طرباً ... وتستهل كدمعي فيه أدمعُه

* * *

سرى البرقُ في أرض الحجاز فشاقني ... وكلّ حجازي له البرقُ شائقُ
فواكبدي ممّا ألاقي من الهوى ... إذا حنّ إلف أو تألّق بارقُ

وهذا شاعر العربية الكبير فؤاد باشا الخطيب([1]) ، يصف البرق بنوعيه السلكي واللاسلكي ويحمد للعلم ما قدم للإنسانية من خدمة تحمل أسرار البشر حين لا يأمن بعضهم بعضا :

حيي يا برق زمزماً والمقاما ... واشرح الشّوق مُشهَباً والغراما
إن لي بالحجاز، والدارُ داري ... جنّةً أزلفت وأهلاً كراما
أنت نعم الرّسول يحمل شجوي ... حين لا يَأمَنُ الأنَام الأناما
نفخت فيك آية العلم روحاً ... خوّلتك البيان والإلهاما
وأفاضت عليك سحراً حلالاً ... كان في الغابرين سحراً حراما
تركب السلك تارة وأوانا ... تطأ الريح واثباً والغماما

وهذا البرق النجدي طالما هيج أشجاناً ، وأبكى عيوناً ، وفضح المتجلدين فتردد

---

(١) فؤاد بن حسن بن يوسف الخطيب ، ولد في قرية شحيم قرب بيروت ودرس في الجامعة الأمريكيّة ثم درس في يافا وفي الخرطوم ، وتولى تحرير جريدة (القبلة) في مكة ثم عيّنه جلالة الملك المرحوم عبدالعزيز آل سعود ، وزيراً مفوضاً ثم سفيراً في كابل وفيها توفي ونقل إلى بلدته وفيها دفن سنة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ .

ذكر نجد والوجد النجدي في الأشعار، حتى قال عمر بن الفارض إمام الغزل الصوفي، وشاعر الزهد والتنسك:

أوميض برق بالأ بريق لاحا ... أم في ربى نَجْدٍ أرى مصباحاً
أم تلك ليلى العامرية أسفرت ... ليلاً فصيّرت المساء صباحا
يا ساكني نجد أما من رحمةٍ ... لأسير صب لا يريد سراحاً

وهذا الإمام العظيم مفسّر القرآن الكريم الإمام الزمخشري صاحب الكشاف ــ رحمة الله عليه ــ يكتوي بنار الحب النجدي:

أضاء لي بالّلوى والقلب متبول ... نجديّ برق بنار الحب موصول
كأن ومضته من ناره قبس ... والخدّ منّي بماء الشّوق مطلول

ومن شعر بعض الأعراب النجديين، وكان مقيما بأرض الشام فرأى البرق فذكّره نجداً، ومن بنجد:

ألا أيها البرق الذي بات يرتضي ... ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا
وهيجتني من (أذرعات)[1] وما أرى ... لنجد على ذي حاجة طربا بعدا
ألم تر أن الليل يقصر طوله ... بنجد وتزداد الرياح به بردا

وحين يتحدث الشعراء عن ثغور الحسناوات، يقرنون بين الأقاحي في مباسمها وبين البرق في لمعانه في وصف تصويري يعرّج فيه الشاعر أحياناً إلى المذاق المعسّل؛ وهذا ممزوج عند أغلب من يلجأ إلى هذه الصور، وفي هذا المعنى يقول ابن خفاجة واصفاً مبسم محبوبته:

بات بها مبسم الأقاحي ... يرشف من طلّها رضابا
ومن حفوف البرق فيها ... ألوية حمّرت خضابا

---

(1) من مناطق حوران في بلاد الشام.

و بعضهم الآخر يجد في البرق مثيراً للانفعالات ، مهيجاً للأشجان والذكريات ، فيحنّ و يشتاق إلى الحبيب ، وكأن هذا البرق رابط للذكرى ، ومثير للواعج الشوق ، يذهب بالنوم والكرى ، و يطيل السهر والسّهد :

أبــى الــبــرقُ إلاّ أن يحــن فــؤاد      و يــكــحّــل أجـفـانَ المحـبّ سُـهَـادُ

و بعضهم الآخر يربط بين الريح والبرق في بيت واحد ، الريح عنده تحمل معاني الوصل والشوق وطيب سلام المحبوب ، و يأتي البرق فيشعل في القلب نار الغرام والهيام :

أفي مـا تـؤدّي الـرّيـح عـرف سَلام      وممـا يــشــبّ الــبــرق نـار غــرام

و يأتي الشعراء بمسلّمات علم النّفس ، ونظريات كنظرية التعلّم المنعكس ، أو نظرية «بافلوف» في سيلان ريق الكلب ، والقصّة طريفة و بسيطة فبافلوف العالم الروسي يأتي فيجري تجربته على كلب ولمدّة طو يلة ، يدني الكلب ثم يخرج جرساً فيقرعه مع إظهار قطعة لحم يراها الكلب فور صدور صوت الجرس ، فيسيل ريقه ، وتكرر العملية عدة مرات ، و يصل الأمر بالكلب إلى حد يسيل معه ريقه بمجرد سماع صوت الجرس .

هذه النظرية التعليمية عرفها شعراء الحبّ قبل بافلوف بزمن بعيد مع الفارق في الموضوع ، والموقف ، فكلما أومض البرق لمّاعاً ، تذكر الشاعر أحبابه :

مـا أومـضَ الـبـرقُ لـمّـاعـاً على أضـمٍ      إلا تــذكــرتُ أحــبـابـي بـذي سَـلَـم

وتسري نظرية التعلم المنعكس فتتجاوز قضية التذكر والذكرى ، لكن بوصف مغاير يصل معه وصف ابتسامة المحبوبة إلى تصو ير البرق ، فتصبح بسمتها مَجْلَبَةً للبرق ، والمعنى بسيط في صورته على حد تعبير البلاغيين :

و يقول شاعر مدنف واصفاً الابتسام :

إذا ابــتــســمــت تــلألأ ضـوء بَـرْقٍ      تــهــلّل في الــدجــنّــة ثــم دامَــا



و يصف آخر ابتسامة حبيبته :

والبرقُ قد يبدو حينَ يبسمُ ثَغْرُهَا ... فيضيء سقفُ القصر بالجدران

و يتغزل ولهان هيمان في مالكة قلبه ، فيقول :

و بيضاء مكسال لعوب خريدة ... لذيذ لدى التمام التزامُهَا
كأن وميضَ البرق بيني و بينَها ... إذا حانَ من بعض البيوت ، ابتسامُهَا

وكثر في الشعر العربي وصف مبسم المليح وأسنان الحبيب إذا ضحك بالبرق في لمعانه و بياضه وسرعة ومضه :

أوجْهٌ تجلّى في ثيابك أم بَدْرُ ... وليلٌ على متنيكَ ذلك أم شعْرُ
وإيماض برق أم شفار صوارم ... بدت أم سهام من لحاظك أم سحْرُ
ونهدان أم رمّانتان طباهما ... صوانع ما لا تصنع اللّدن السُّمْرُ

وإذا ذكر البرق وما يفعل بالمحبين من تهييج العواطف واستثارة الذكريات برز البرق اليماني فشعراء اليمن ، من أكثر شعراء العرب ذكراً للبرق والمزن والسحاب .

فهذا الإمام السيد محمد بن اسحق(١) :

أيا بارق الجرعاء هل الجزع ممطور؟ ... وهل بالغواني ذلك الربع معمور؟
وهل ذلك الروض النضير نضارة ... بعين الرضا من ساكني السفح منظور؟
وهل كسيت فيه الغصون قطيفة ... مطرزة خضراء أزهارها نور؟

إلى أن يقول :

سقاه الحيا طول المدى فهو جنّة ... لأن الحسان اللاعبات به حور

---

(١) محمد بن اسحاق بن أحمد ، نازع الإمام المتوكل القاسم بن الحسن في الإمامة وكذلك الإمام المنصور الذي تغلب عليه واعتقله ثم أفرج عنه ، ومات سنة ١١٦٧ هـ . وعنه تحفة المشتاق شرح أبيات المولى محمد بن اسحاق لمجهول . انظر مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن : ٣٤٧ .

كواكب لا يفترن عن حرب عاشق بتدبير رأي فيه للصب تدمير
يجهزن جيشاً لا انكسار لحزبه وما هو إلا لحظ عَيْن وتفتير

وللشاعر اليمني شعبان سليم(1)، المتوفى سنة ١١٤٩ هـ، يذكر البرق في موقف وداع الأحباب:

يا برق أية لاعج وولوع هيجت بين جوانحي وضلوعي
أذكرتني بالليل ومضك موهنا شق الجيوب بموقف التوديع
حيث التقى الجمعان وانتهب الهوى ألبابنا وأذلت ماء دموعي

* * *

و يبدو أن البرق اليماني كان مضرب المثل بين بروق الأمصار وكثيراً ما يكون رجاء أملٍ، فيأتي به الشعراء تميهداً لعطاء يرجونه من الممدوح.

كان سلمة بن عيّاش العامري(2)، مولي لبني عامر بن لؤيّ، والناس يعدّونه منهم لجلالته وعلمه، وكان صديقاً لمحمد وجعفر ابني سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس لا يفارقهما، وكان ذا مروءة، فلزمه دَيْنٌ فبلغ ذلك محمداً وجعفراً، فقضياه عنه، فقال(3):

أرِقْتُ فطالت ليلتي بأبانِ لبرقٍ سرى بعد الهدوّ يمانِ
ومازلت أرجو جعفراً أو محمداً لأفضل ما يُرْجى له أخوانِ

* * *

(1) شعبان سليم بن عثمان حاسكي الرومي الأصل، ولد بصنعاء سنة ١٠٦٥ هـ وكان تركياً. أنظر: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ٣٤٤.

(2) سلمة بن عياش شاعر بصري من مخضرمي الدولتين، وكان يتدين و يتصوّن، انظر الأغاني ج ٢١: ٨٤ــ ٨٦.

(3) المصون في الأدب: ١٦٤.

وقال الشهاب محمد بن عبدالملك العزازي من أهل القرن السابع الهجري : (١)

دمـي بـأطـلال ذات الخـال مـطـلـول — وجـيـش صـدري مـهـزوم ومـغـلـولُ
بـانـوا فـلا خَـبـر عـن بـان كـاظـمـة — ولا حـديـث عـريـب الجـزع مـنـقـولُ
يـا بـرقُ كـيـف الـثـنـايـا الغرّ من أضم — يـا بـرقُ كـيـف لي مـنـهـنّ تـقـبـيـلُ
و يـا نـسـيـم الـصّـبـا كـرر على أذنـي — حـديـثـهـن فـمـا الـتـكـرار مملـولُ

و يرى الشريف المرتضي (٢) سنا البرق في صفحات السماء مبددا ظلمتها ، وظلمة قلبه ، و يهيج قلبه متأججاً بنار الهوى مكتو ياً بحرّ اللظى ، و يستهدي به في ظلمة النفس والفضاء ، و يتخذ وميض البرق للخداع والتضليل ، يقول :

جـلـب الـبـرق لـقـلـبـي — إذ سـرى بـرحـا طـو يـلا
سـل لـلـعـيـنـين في جـنـح — الـدجـى سـيـفـاً صـقـيـلا
وهـدانـي في سـرى اللـيـل — وقـد جـزت الـسّـبـيـلا
وأرانـي مـن بـعـيـد — ذلـك الحـي الحـلـولا
وخـيـامـاً حـالهـن — الحـسـن صـعـبـاً وذلـولا
لـم أزل أسـأل فـيـهـن — على الـفـقـر بـخـيـلا
وعـزيـزاً صـرت في الحـب — لـه عـبـداً ذلـيـلا
كـلـمـا اسـتـبـدل مـنّـي — لـم أر مـنـه بـديـلا

ولا يرى الشاعر نفعاً للمغترب تقدمه همسات الهاتف ، في الوقت الذي لا يكف فيه البرق عن دفع الحنين ، وتوليد الشجى والأنين ، ولا نفع لهم حتى من البريد الذي يبلل القلب ، و يريح الأعصاب ، فيقول :

ومـا نـفـع الـنـائين همسة هـاتـف — ولا كـف برق شـوقـهـم و بـريـد (٣)

---

(١) انظر قصة الأدب في اليمن .

(٢) علي بن الحسين المتوفي سنة ٤٣٦ هـ شقيق الشريف الرضي ، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، له كتب كثيرة مطبوع أغلبها .
أنظر : روضات الجنات : ٣٨٣ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٢٣ ، إرشاد الأديب ٥ : ١٧٣ .

(٣) وحي الفؤاد .

وهذا الشاعر السعودي الأستاذ فؤاد شاكر يذكر فضل البرق في قصيدة ألقاها بالطائف عام ١٣٦٢ هـ مهنئا جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز بتسمية الأمير بندر نجل جلالته:

مشى البرق مختالا ببشراه يهتف ... يكاد بما فيه من البشر يغرف
مشى فتلقته نفوس تطلعت ... حنيناً فأدناها إليه التلهف
طوى البيد حتى حلّ منّا مكانة ... لدى كلّ قلب نجوه يتشوف
فما هو إلا أن سرى فتدافعت ... جوارحنا تصغى إليه وترهف
فكادت قلوب القوم قبل جسومهم ... جموعاً إلى أرجاء بابك تدلف
يبشّرنا والبشريات عزيزة ... بشبل له في أجمة الأسد مألف
تجلت به في (بندر) عبقرية ... تألق فيها حسنه حين يوصف(١)

* * *

ولا يسعني قبل أن أختم حديثي عن البرق إلا أن أشير إلى كلف الشاعر ـ الجاهلي خاصة ـ بلمعان البرق، فكأنه لمعان السيوف أو سيل الدموع، والمياه، والآل، قال زهير بن أبي سلمى:

كأن بريقه برقان سحلٍ ... جلا عن متنه خرص وماء

بل ولمعان اليدين، كقول امرىء القيس في معلقته:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حَبِيٍّ مكلّلِ

* * *

وكم اتخذ وميض البرق للخداع والتضليل، فقد ذكر الأستاذ وديع ديب في بحثه عن (المرأة في حياة المعري) أنه لم يعرف شاعراً قبل أبي العلاء رأى في انحباس البرق عن اللمعان خدعة يراد بها تضليل المحبين.. لقد أبى البرق أن يضيء السبيل إليها

---

(١) تسابيح قلب

وهو على أشد ما يكون من اللهفة والغيرة إلا أن خديعته هذه لم تفت بصيرة الشاعر البصير:

أرحتني فأرحْتَ الضّمر القَودَا ... والعجزُ كان طلابي عندك الجودا
وقد أنست إلى حلمي وأوحشني ... كرّ العواذل تأنيبا وتفنيدا
ردي كلامك ما أمللت مستمعا ... ومن يملّ من الأنفاس ترديدا
باتت عُرى النّوم عن يميني محللة ... و بات كوري على الوجناء مشدودا
كأنّه غار منا أن نصاحبه ... وخاف أن نتقاضاك المواعيدا
من يخبرُ الليل إذ جئت حنادسه ... والرّحل عني لما طلّ أو جيدا
أنى أراح لأصوات الحداة به ... وللركائب يخطبّنَ الجَلاميدا

* * *

وللشاعر فرنسيس المراش: (١)

تكهرب القلب من برق الطلى فغدا ... يجاذب العشق لكن قط ما دفعا

وللشاعر الجهير عزيز أباظة (٢) من قصيدة له بعنوان (أشواق) وهو يسائل، و يرقب الأنباء و يتسقط أخبار الحبيب:

وأسأل البرق هل وافت نوابضه ... والطائرات أفيها عنك أنباء

والشاعر محمد هاشم رشيد يمهّل الحادي و يطلب منه أن يوقف الركب، فقد رأى وميض البرق في نجد، وهذا له معناه عند الشاعر ففيه دواء للأشواق، وها قد حان وقت الدواء، يقول(١):

---

(١) فرنسيس بن فتح الله المراش متوفى سنة ١٢٩٠هـ ١٨٧٣م له نظم كثير، وله: «مرآة الحسناء» ديوان منظوماته، مطبوع.

(٢) عزيز بن محمد بن عثمان أباظة له دواو ين كثيرة أهمها: أنات حائرة، وديوان، ومسرحيات منها: العباسة، «قيس ولبنى» وتوفى سنة ١٣٩٣هـ.

تمـــهـــل أيـــهـــا الحـــادي وقـــف .. إنـــا على وعـــد
ألـــم تـــبصر على الـــوادي ومـــيـض الـبـــرق في نـجـد

* * *

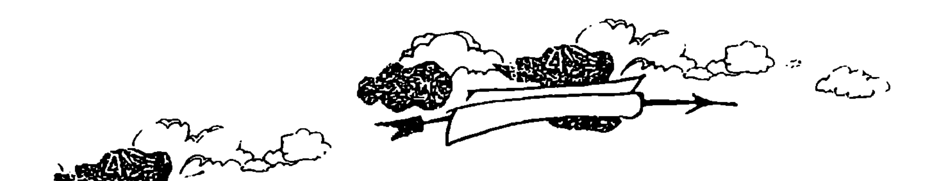
تمـــهـــل .. حـــان أن نـــروي مـــن الأشـواق .. قـلـبـيـنـا
وحـــان الـــيـوم أن نـطـوي أسى .. قـــد هـــد روحـيـنـا

* * *

لـيـالي الـبـعـد قـد طـالـت وطـال .. سـرى المـحـبـيـنـا
ومـا بـقـيـت .. وقـد حـالـت سـوى المـذكرى .. بـأيـديـنـا

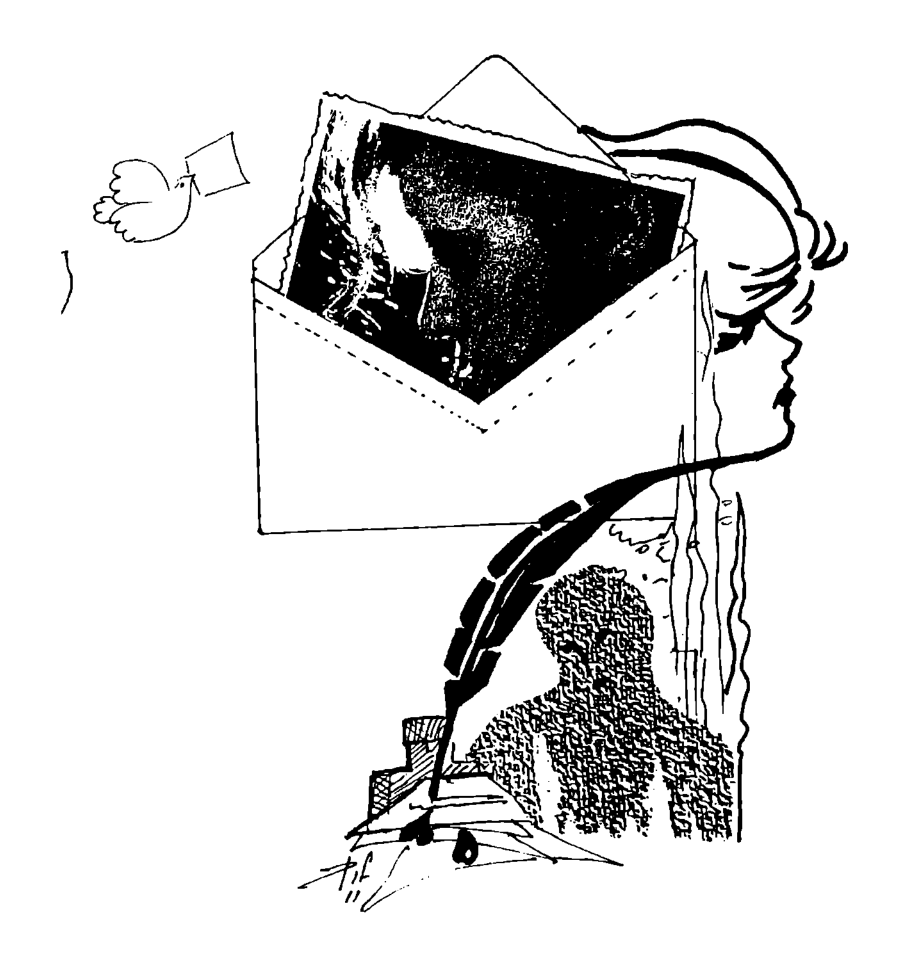
* * *

وهكذا و بعد هذا الاستعراض لنماذج، وأنماط من الشعر العربي قديمه و وسيطه وحديثه، نلحظ أن الشاعر العربي منذ مئات السنين قد سبق (ماركوني) مخترع جهاز (اللاسلكي) في الاهتداء إلى استغلال البرق، وتحميله السلام ومساءلته عن المنازل، والأحبة والدّيار ولا غرابة في ذلك أيضاً، فقد سبق الشعراء العرب الدولتين العظميين أمريكا وروسيا في اجتياز الفضاء والصعود إليه عبر الخيال المؤجج الطموح!..



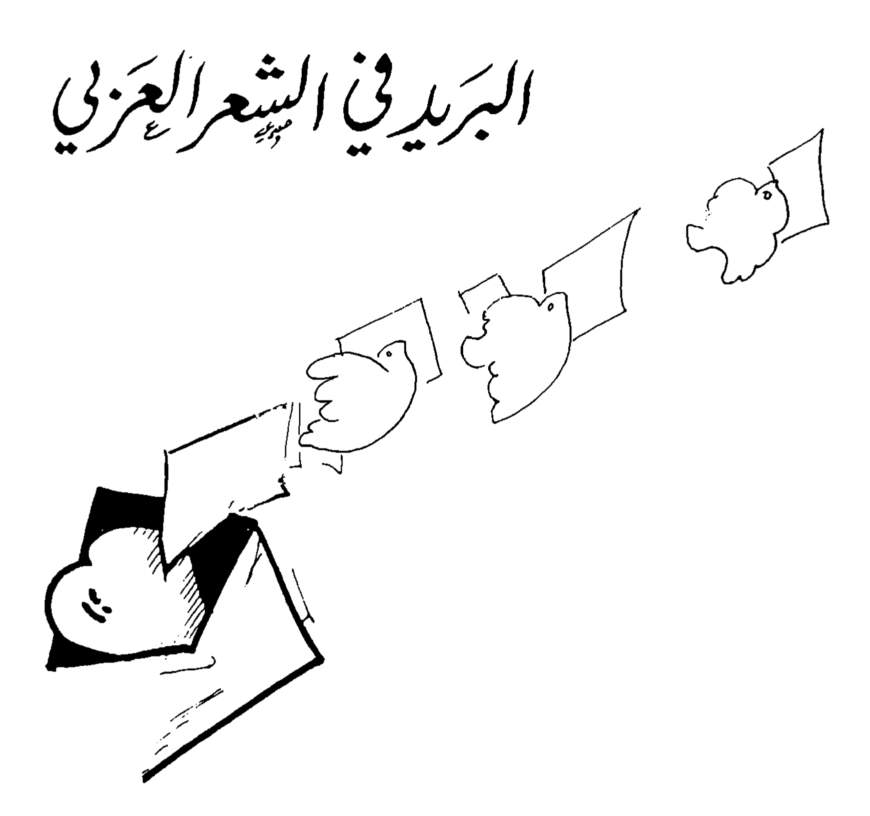
---

(١) من ديوان (في ظلال السماء) شعر محمد هاشم رشيد.



# ٢

# البريد في الشعر العربي




Twitter: @abdulllah1994

## ٢

# البريد في الشعر الغزلي

هل سبق أن اغتربت؟ هل سبق أن اقتلعت من تربتك بعيداً؟ هل سبق أن ذرفت الدموع شوقاً، وولهاً، وحبّاً، وعطفاً؟

هل سبق أن اختنقت حلاقيمك بالعبرات، وامتلأت عيونك بالدموع؟

أم هل حشرج صدرك يوماً بالآهات وتتالت عليك الزفرات والعبرات؟..

إن عشت تلك اللحظات، وعانيت من آهات المغتربين وزفرات المشتاقين فإنك ستكون أكثر فهماً للأشواق التي يبثها المولعون بالبريد الحبيب المحب، والغريب المغترب.

وهذا البريد قديم قدم الشوق والحنين، قديم قدم الرحيل والسّفر والذكريات؛ وهل ينسى الإنسان ذكرياته وهي ماضيه وامتداد مستقبله؟

و يأتي ليل المحبين فتتحرك صور الماضي، و يقوى أملك بالوصول، ثم يأتي عليك النهار فيشغلك العمل، و يدفعك الأمل ثم تتجه إلى البريد تبحث عن ذاتك الضائعة عن شطرك الآخر!..

وتنقطع منك أخبار المحبوب، وتصبح عرضة لنار الأشواق، وتعود إلى أوراقك القديمة الجديدة.. تشتم منها ريح المحبوب، وتنظر إلى الأوراق التي لامستها أنامل الحبيب وأودعها نظراته فتبحث عن العيون بين السطور...

هذه الصورة تحتاج إلى متخصص بعلم النفس، ولست ذلك المتخصص، لكنها تحتاج إلى رقيق العواطف يدركها ورقيق الأشواق يصوّرها، وهذا متوافر لكل العاشقين الهائمين، وهل في العشق من باسي ما مرّ مثل الهوى شيء على رأسي — على

حد قول أبي نواس ـــ .

وعلى كل حال فحديث نشأة البريد مرتبط بنشأة العلاقات الإنسانية مِنذ الأ زل ، وأنا لا أريد أن أطيل في سرد قصة البريد ، ونشأته و بداءته ومعرفة العرب له ، فذلك مرجعه كتب التاريخ وما حوت من قصص تدو ين الدواو ين ، ومن بينها ( ديوان البر يد ) .

ولسوف أقصر حديثي وأحصره في البريد ، وفرح الناس به وخاصة ذوي الأشواق الملتهبة ، والنظرات القلقة والعواطف المتلهفة إلى ما يحمله الموزع بيده من أغلفه تحوي بداخلها عبارات كتبت بمداد من دم القلوب ودمع العيون وذوب الوجدان .

يقول الأستاذ أحمد أمين (ليست قيمة الخطابات في وزنها ولا عددها ولكن قيمتها في عواطفها فكم خطاب حمل في طياته أسمى عواطف الحب وأبلغ عبارات الغرام لو نشر ما فيه من آيات الأدب الخالد ولو أحيل للمختبر وحلل لتقطرت منه دماء القلوب وعصارة الأفئدة . . ) .

ومن عجيب أن البريد يحمل في ثناياه نغمات موسيقية مختلفة التوقيع بأكثر مما تختلف نغمات العود والقانون . فهذه نغمة وصل سارة إلى أقصى حدود السرور ، وهذه نغمة هجر محزنة إلى أقصى غايات الحزن ، و بين هذه وتلك نغمات لا عداد لها بين السرور والحزن والقبض والبسط فغزل رقيق وعتاب لاذع وقطيعة مفجعة وما شئت من لعب العواطف وتقلبات القلوب(١) .

وهذا شاعر ولهان عاشق يدير الحوار بينه و بين كتاب جاءه من محبو بته و يسأله كيف رأى وجهها ، وكيف غادرها ، يقول :

| | |
|---|---|
| كتابها قد جاءني حاملاً | لقلبي الخفاق قلبا خفقْ |
| والتمعت فيه نجوم المنى | في أسطر مثل سواد الغسقْ |
| وأعرف القبلة في موضع | يلوح كالزّهر لا كالورقْ |
| وكم به سطر إلى آخر | كالصدر للصدر دنا فاعتنق |

---

(١) فيض الخاطر جـ ٢ .

وكـم بـه مـعـنـى أنـام الجوى وكـم بـه مـعـنـى أتـى بـالأ رقْ

* * *

سـألـتـه كـيـف رأى وجـهـهـا فـقـال: جـل الله فـيـمـا خـلـقْ
قـلـت: وذاك الخد لما استحى فقال: مثل الفجر فيه الشفقْ
قـلـت: وذاك الـثـغـر مـا أمـره فـقـال: لما ذكـرتك (انـطـبـقْ)

* * *

يـا ثـغـرهـا فـيـك نـسـيـم الـنـدى فـكـيـف قـلـبـي في نـداك احـتـرقْ

* * *

أما الشاعر «حكمت حسن» فيحمّل البريد إلى المحبوب عواطفه وأشواقه وذوب قلبه، و يتضرع إلى الحبيب بالرفق بفؤاده الكسير:

يـضـمـخ شـوقـي رسـائـلـه وتـنـضـح بـالحـب أشـعـاريَـهْ
ويحملني لهف الذكريات إلى واحـة ثـرّة نـائـيَـهْ
تـزيـنـهـا زاهـرات الـنـجـوم وتـنـفـحـهـا الـرقـة الحـانـيَـهْ
يـسـاهـرهـا قـمـر عـاشـق تـطـيـبـهـا نـسـمـة سـاريَـهْ
أراك تجـوبين آفـاقـهـا كـأنـك حـوريـة سـامـيَـهْ
فـيـعـبـر حـبـك في خـاطـري عـبـور الـرؤى الـسـمـحـة الـواعيَهْ
و يـغـمـرنـي بـبـهـي المـنـى ويمـنـحـنـي الـعـيـشـة الـراضـيَـهْ

* * *

أحـبـك حـب الـنـدى للـشـذى على مـبـسـم الـزهـرة الـغـافـيَـهْ
وحـب الـفـراش لـنـور الـشـمـوع وحـب الـنـواعـير لـلـسـاقـيَـهْ
وحـب الـعـرائـس لـلـيـاسـمـين وحـب الـعـنـاقـيـد لـلـداليَـهْ
وحـب المـنـازل لـلـشـرفـات وحـب المـضـارب لـلـبـاديَـهْ
كـأني بـدونـك .. دنـيـا أسـى بـلا قـمـر مـشـرق خـاو يَـهْ
محـيـط بـلا لجـة تجـتـلي سـمـاء بـلا زرقـة صـافـيَـهْ
كـتـاب بـلا فـكـرة جـزلـة قـصـيـدة شـعـر بـلا قـافـيَـهْ

* * *

بـريـدي إلـيـك أحمـلـه تـلـهـف قـلـبي وأشواقيَـهْ
وذوب فـؤادي .. فـرفـقـا بـه فؤادي الـكسير، ورفـقاً بيَهْ[1]

أما شاعر البيان المصفى، المرحوم «أحمد الصافي النجفي»، فيتساءل لماذا انقطعتْ الأخبار؟ ..

قـد انـقـطـع الـبـريـد فلا جديد ولا كـتـب ولا نـبـأ مـفـيـدُ
فـهـل مـات الهوى أو مات حبّي أو الـقـرطـاس أو مـات الـبريدُ[2]

* * *

ونلتقي بشاعر العواطف المعاصر عمر بن أبي ربيعة زمانه (نزار قباني) في قصيدته التي عنوانها (بريدها الذي لا يأتي):

تـلـك الخـطـابـات الـكـسـولـة بـيـنـنـا خير لهـا ... خير لهـا أن تـقـطـعـا
إن كـانـت الـكـلـمـات عـنـدك سخرة لا تـكـتـبـي .. فـالحـب لـيـس تـبـرعا
إنـي لأقـرأ مـا كـتـبـت فـلا أرى إلا الـبـرودة .. والـصـقـيـع المـفـزعا
عـفـويـة كـونـي .. وإلا فـاسـكـتـي فـلـقـد مـللت حـديـثـك المـتـمـيـعا

* * *

حجـريـة الإحـسـاس .. لـن تـتـغيري إنـي أُخـاطـب مـيـتـا لـن يـسـمـعـا
مـا أسـخـف الأعـذار تـبـتـدعـيـنـهـا لـو كـان يمـكـنـنـي بـهـا أن أقـنـعـا
سـنـة مـضـت وأنـا وراء ستـائـري استـنـظر الـصـيـف الـذي لـن يرجعا
كل الـذي عـنـدي رسـائـل (أربع) بـقـيـت ـ كـمـا جـاءت ـ رسائل أربعا
هذا بـريـد أم فـتـات عـواطـف إنـي خُـدعـت ... ولـن أعـود فـأُخدعا

* * *

(١) قافلة الزيت عدد ذي الحجة ١٣٩٧ هـ.

(٢) ديوان هاجس: أحمد الصافي النجفي.

يــا أكــــل امـرأة تخـط رســالـة ... يـا أيـهـا الـوهـم الـذي ما أشـبـعا
أنـا مـن هـواك . . . ومـن بـريدك متعب ... وأريـد أن أنسى عـذابـكـمـا مـعـا
لا تـتـعـبـي يـدك الـرقيـقـة إنـنـي ... أخشى على الـبـلـور أن تـتـوجـعـا
إنـي أريحـك مـن عـنـاء رسـائـل ... كـانـت نـفـاقـاً كـلـهـا . . . وتـصـنّـعـا
الحـرف في قـلـبـي نـزيـف دائـم ... والحرف عـنـدك مـا تـعـدى الإصـبـعا (١)

ولا عجب أن يكون الشاعر نزار معجباً بقراءة بريد القرّاء، فيطلع عليها باستمرار.

وإذا ذكر البريد فلابد أن يبرز من بين الصفوف والأسطر والحروف اسم هو مدار الأهمية في الإيصال ورسول الأحبة وحامل أسرارهم ذلكم هو شخص (موزّع البريد) السّاعي بين ذوي الهوى بالأنباء، والمتنقل بين الدور والأكواخ والقصور حاملاً رسائل الحب الملتهبة وقراطيس الشوق المعطرة وسجلات الغرام المطو ية و بطيّها مالا يعد ولا يحصى من عبارات تقطر هوى وعشقاً وتذوب وجداً وهياما.

يقول شفيق معلوف في قصيدته (ساعي البريد): (٢)

ساعـي الـبـريـد، ومـا يـنـفـكُّ منطلقاً ... وكـلُّ بـاب عـلـيـه غـيـرُ مـوصُـودِ
يـسـعـى بـأكـداس أوراق مـغـلّـفـة ... تـفـوحُ مـنـهـن أطـيـابُ المـواعـيـدِ
خـلـف الـنـوافـذ أجـفـان مـشـوقـة ... إلـيـه تخـفـق مـن وجـد وتـسـهـيـدِ
بـدا فـهـزّ عـقـودَ الـغـيـدِ مَـقْـدَمُـه ... هـزَّ الـنـسـيـم لحـبّـات الـعـنـاقـيـدِ
كـم قبـلـة من فـم الـعـشّـاق يحـمـلـها ... على يـديـه و يـهـديـهـا إلى الـغـيـدِ
يـا سـاعـيـاً بـابـتـسـامـات تـوزّعـهـا ... على الـشّـفـاه بـلا مَـنّ وتـرديـدِ
كـم وجـه أمٍّ عـجـوز إن بـرزت لـه ... لـم تـبـق مـن أثـرٍ فيـه لـتـجـعـيـدِ

---

(١) ديوان الأعمال الكاملة.

(٢) ديوان المعلوف.

تلقى إليها كتاباً إن يصب يدها شدّته باليدين للنّحر والجيدِ
كأنّ كلّ غلاف منكَ ملتحف لابنٍ إلى صدر تلك الأمّ مردودِ
وكم وكم رقعةٍ كالحظَ مشرقة وهبتها كلّ كابي الحظّ منكودِ

وإذا ذكر البريد والساعي والكاتب والمكتوب له، فلماذا يهمل (طابع البريد)؟

ذلك الطابع الذي طالما نزعه الهواة، واحتفظوا به داخل الألبومات والمظروفات وتفانوا في ترتيبه، وتغالوا في قيمته، أما العشاق والمحبون فلهم طرق أخرى في حفظ الطوابع والاحتفاظ بها فمن المعروف أن المرسل هو الذي يلصق الطابع بنفسه، وقد بلغ الوله والهيجان بأحد العشاق المدنفين أنه كان يبلع كل طابع بريد يصله من الحبيب ظنا منه أن حبيبه قد بل الطابع بريقه ومرره على شفتيه ولحسه بلسانه، ولكن محبوبته خشيت عليه الموت فأعلمته أن خادمها هو الذي يلصق الطوابع فقذف ما بلع من أوراق وسلم ونجا.

وهكذا يتفانى كل منهما في حب الآخر فهو يريد أن يخلط كل شيء منها بدمه وروحه وهي تخشى عليه الموت والفوت فتشعره بالأمر وتنقذه من الهلاك المبين. وهذا أمير الشعراء (أحمد شوقي بك) يحيى (طابع البريد) بمناسبة العيد الفضي لطابع البوستة في جنيف بسويسرا بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٠٠، فينشد (سلام على لسان البريد) [١]

أنا من خمسة وعشرين عاما لم أرِحْ في رضاكم الأقدامَا
أركَبُ البحرَ تارةً وأجوب البرَّ طوراً وأقطع الأ يّامَا
و يُوافي النُّفوسَ منّيَ رسولٌ لم يكن خائناً ولا نمّامَا
يَحْمِلُ الغشّ والنَّصيحةَ والبغضاء والحُبّ والرِّضى والملامَا
و يَعِي ما تُسِرُّه من كلامٍ و يُؤدي كما وَعَاه الكلامَا
ولقَدْ أُضحِكَ العَبوسَ بيومٍ فيه أبْكي المُنعَّم البسّامَا

(١) ديوان الشوقيات ج ٢/١٠٦.

وأُهــنِّــي على الـتّـوى وأُعـزِّي وأفـيـد الحـرمـانَ والإنْـعـامَـا
وجـزائـي على خـدمـتـي وَوَفـائِـي ثـمـنٌ لا يُـكَـلِّـفُ الأقْـوامَـا
رُبَّ عَـبْـدٍ قـد اشـتـرانـي بمـالٍ وغُـلام قـد سـاقَ مـنّـي غُـلامَـا
عرف الـقـومُ في (جـنـيـفـا) مَـحلِّـيً وجَـزوْنـي عـن خـدمـتـي إكْـرَامَـا
جـامَـلُـونـي إذ تـمَّ لي ربـع قـرن مـثـلـمـا جـامَـلوا الملوْكَ العِظامَـا
و يـوبـيـلُ المـلـوك يـلـبـث يـومـاً و يـوبـيـلي يـدوم في الـنـاس عـامَـا

ولا يزال الحديث عن ذلكم الساعي موصولاً ، ومتصلاً فالناس تستبشر به وتنتظره في الشرفات وتخرج للقائه في الطرقات وتبش له وتأتنس به فهو صاحب شأن كبير في حياتنا نفوت مواعيدنا مع الناس ونضبط موعده نضطرب إذا أقبل وتدق قلوبنا ونتمنى أنه لا يحمل إلا رسائلنا فقط نضيق بمروره على أبواب الآخرين. ونضجر ونتعجل وصوله .

وهذا شاعر المهجر الجهير «زكي قنصل» يصف في قصيدته (ساعي البريد) و يصور انتظار أم لرسالة من وحيدها البعيد فيقول على لسانه:

حـيـيـتـه ومـضـيـت في أمـري تـتـصـارع الأفـكـار في سـري
إن جـئـت سـابـقَ ظـلّـه قـدمـي وإذا غـدوت غـدا على أثـري
حـمـل الـعـنـاء على مـنـاكـبـه وحـمـلـت بـلـواه على صـدري
عـرق الجـهـاد على مـلامحـه ودمـوعـه الحـمـراء في نـحـري
يـا ضـاربـاً في الأرض يـزرعـهـا بـشْـراً قـضـيـت الـعـمـر في بشرِ
بـالـرّوح جـعـبـتـك الـتـي هزأت آيـاتـهـا بـعـجـائـب الـسّـحـرِ
فـاضـت على لـيـل الحـيـاة سـنـاً وتمـاوجـت بـالـنّـد والـعـطـرِ
كـم دمـعـة لـولاك مـا انـقـطـعـت و بـشـاشـةٍ لـولاك لـم تسرِ
ولـكـم جـبـرت فـؤاد والـدة جـارت عـلـيـهـا نـقـمـة الـدّهـرِ
تـبـكـي فـلا يـرثـى للـوعـتـهـا قـلـبٌ كـأنّ الـنـاس مـن صـخـرِ

غرقت بغصتها ابتسامتها ... وخبا بريق النّور في الثّغرِ
لم يبق من آمالها قبسٌ ... ذهب القنوط بنعمة الصّبرِ
مازال ريب الدهر يقذفها ... من مهمَهٍ قفر إلى قفرِ
حتى وقفت ببابها فرأت ... خلف ابتسامك ليلة القدرِ
هرعت إليك يقودها أمل ... كالفجر بل أسنى من الفجرِ
يتعثر الترحيب في فمها ... ويضيع بين المدّ والجزرِ
سلمت يداك لقد رددت لها ... أنس الحياة وأنت لا تدري
هذا وحيد القلب ينبئها ... بإيابه في غرة الشّهرِ
فاعذر إذا اضطربت جوارحها ... وتخاذلت عن واجب الأجرِ
عقد السرور لسانها فهمت ... من مقلتيها آية الشكرِ

* * *

ساعي البريد متى أعود متى ... ينفك من قيد النوى أسْري
خلفت في مغناي والدة ... تحيا على أذكى من الجمرِ
تنساب خلفك كلما سمعت ... باباً يدق وعابراً يجري
فارفق بها واحمل لها نبأ ... يحيي بقايا الرّوح في الصدرِ
نذراً عليّ ولست أنكثه ... ساءت عواقب ناكث النّذرِ
سأقيم إن حققت لي أملي ... نصبا من الرّيحان والزهرِ
وأصبّ رسمك في قواعده ... ذكرى مقدسة على الدّهرِ
تجثو القلوب لديه خاشعة ... وتطوف فيه عرائس الشّعرِ
ساعي البريد إلى اللقاء غدا ... حزمت أمتعتي على ظهري (١)

وهل يستطيع الباحث، أو السامع المهتم أن يقرأ هذه القصيدة الرائعة دون أن ترتسم في ذهنه الصور الكثيرة للمغتربين في المهاجر الأمريكية، وأن يتصور مطاردتهم

---

(١) مجلة الأديب البيروتية العدد ١٢ السنة الثالثة.

لُلقْمَةِ العيش، ومطاردة ساعي البريد لهم بجعبته التي هزأت آياتها بعجائب السحر ــعلى حد قولهــ ومطاردتهم له باحثين، سائلين عن الوصل، يجدونه في الرسائل. واعجباً لقوله:

كـم دمـعـة لـولاك مـا انـقـطعـت ... وبـشـاشـةٍ لـولاك لـم تسر

و يصور بكلماته المُمَوْسقة حال الأم هناك على الطرف الآخر من العالم، وراء السهوب والبحار، ويجعل ساعي البريد جابر أفئدة الأمهات، و يصور وقوف ساعي البريد بباب العجوز، انظر إلى الأمل كيف يزرعه الساعي في محياها، وانظر إلى الدماء تصعد في وجنتيها، فكأن الأمل أعاد لها الحياة:

ولـكـم جـبـرت فـؤاد والـدة ... جـارت عـلـيـهـا نـقـمـة الدّهـر
تـبـكـي فـلا يـرثـى للـوعـتـهـا ... قـلـب كـأن الـنّـاس مـن صـخـر
لـم يـبـق مـن آمـالهـا قـبسٌ ... ذهـب الـقـنـوط بـنـعـمـة الصّبـر

وفجأة يأتي الفرج:

حـتـى وقـفـت بـبـابـهـا فـرأت ... خـلـف ابـتـسـامك ليلةَ الـقـدر
هـرعـت إلـيـك يـقـودهـا أمـل ... كـالـفـجـر بل أسنى من الـفـجـر
سـلـمـت يـداك لـقـد رددت لهـا ... أنـس الحـيـاة وأنـت لا تـدري

و يلتفت إلى ملحمة المغتربين يتمثلها فرداً، يتساءل عن عودته، عن رجوعه إلى والدته، وأحبابه بعد طول غياب:

سـاعـي الـبـريـد متى أعود متى ... يـنـفـك مـن قـيـد الـنّوى أسـري
خـلـفـت في مـغـنـاي والـدة ... تحـيـا على أذكـى مـن الجـمـر
تـنـسـاب خـلـفك كـلـما سـمـعـت ... بـابـاً يـدق، وعـابـراً يجـري

ونعود إلى الشاعر نزار قباني فيحكي لنا انتظاره لبريد الحبيب بعد طول انتظار وسؤال لساعي البريد العجوز:

أغلى العطور أريدها ، أزهى الثياب
فإذا أطل بريدها بعد اغتراب
وطو يت في صدري الخطاب
عمرت في ظني العباب
وأمرت أن يسقى المساء
معي الشراب
و وهبت لليل النجوم
بلا حساب .. بلا حساب
أنا عند شباكي الذي يمتص أوردة الغياب
وشجيرة النارنج يابسة ، مضيقة الشباب
وموزع الأشواق يترك فرحة في كل باب
خطواته في أرض شارعنا
حديث مستطاب
وحقيبة الآمال
تعبق بالتحارير الرطاب
هذا غلافي القرمزي
يكاد يلتهب التهاب
أكاد التهم النقاب الفستقي ..
ولا نقاب .....
أنا قبل أن كان الجواب
أعيش في وهم الجواب
طيبان لي : طيب الحروف
وطيب كاتبة الكتاب ..
أطفو على الحرف الذي صلى على يدها وتاب
خط من الضوء النحيت فكل فاصلةٌ شهاب

هذا غلافي ـ لا أشك ـ يرف مجروح العتاب
عنوانه .. عنوان منزلنا .. المغمس بالسحاب
عنواننا عند النجوم الحافيات على الهضاب

* * *

يا أنت يا ساعي البريد ببابنا :
هل من خطاب ؟
و يقهقه الرجل العجوز ويختفي بين الشعاب
ماذا يقول ؟ يقول :
ليس لسيدي إلا التراب
إلا حروف من ضباب
أين الحقيبة ؟ .. أين عنواني ؟ ..
سراب ... في ... سراب ...
والحق أن آماله هي التي صارت سراباً في سراب ..

والشاعر إبراهيم ناجي « رومانسي » من رأسه حتى قدميه ، وهو كما يقول عامة المغنين : « جلاب الهوى » ، أو كما يقول عامة الناس « دمعه قريب وحبّه عجيب » . وهو في ديوانه « الطائر الجريح » إنسان كسير الخاطر مسكين ... ما يكاد يظفر بالكتاب حتى يقبّله ألف مرّة .. لا يدع منه حرفا .. وهند صاحبة الكتاب !! .. وما بين المحبين ليس يخفى .. وحبُّ الشاعر كشِعْرِه لابد أن يُذاع و يتنقل كالبريد : (١)

قبلت خطك ألفا ولم أدَعْ منه حرفا
قد كنتِ توأم قلبي وكنتِ في الغيب إلفا

---

(١) ديوان الطائر الجريح ، ابراهيم ناجي .

يـا هـنـد مـا الحسن إنـي أُجِـلُّ حـسـنـك وصـفـا
رأيـتـه بـخـيـال على جمـالـك رفـا
وكـيـف أخـفـي اشتـيـاقي مـا بـيـنـنـا لـيـس يخـفـى

* * *

وللشاعر العباس بن الأحنف .. وهو مَنْ عُرف بالعذرية في أظهر ملامحها كتاب مرسل إلى «فَوْز» حمّله لواعج الشوق، وتباريح الهوى، وقال فيه من مفردات الحب ما لم يتيسّر لكثير من الشعراء العشاق.. وفي النص عبرات وشهقات حرّى، وقد أوصى أهل المروءة من زوار بيت الله الحرام أن يبلغوا أهل يثرب ــ وفيهم فَوْز ــ عن حاله بالعراق وقد تعلق بحبال الموت، لا يرجى له من شفاء، و يسألهم أن يأتوا له بقارورة ماء من عندها، فإن أدركوه رشوا على وجهه ماءها، وإن سبقتهم منيته رشوا منه على قبره.. فهو شهيد غرام لا شهيد قتال!..

وقصيدته هذه من عيون الشعر العاطفي الصادق النابع عن تجربة ذاتية ومعاناة حقيقية.. هذا مع ما فيها من روائع الصياغة وسلاسة الكلمات وحرارة الموسيقا..

ومن جميل معانيه، تعاطفه مع المحبين والرجاء إلى الله أن يقرب دار كل حبيب، ودعوته إلى الباكين أن يتعاونوا في مجاهدة الهوى فهم يوشكون أن يبقوا بدون قلوب، وتحميل الرياح سلامه وكلامه عن النكبات وتسميتها ببنات الدهر..

وقد تناهى الشعر في عصره عند لطفه ورقة شعوره، وسهولة جرسه وعذرية إيقاعه، يقول في معلقة الحب والعواطف:

أزْيَـن نـسـاءِ الـعـالمين أجـيـبـي دعـاء مَـشُـوقٍ بـالـعـراق غـريـب
كـتـبـت كـتـابـي مـا أُقـيـم حـروفـه لِـشـدَّةِ إعـوالي وطـولِ نـحـيـبـي
أخـطُّ وأمحـو مـا كـتـبـتُ بـعـبـرةٍ تَـسُـحُّ على الـقِـرطـاس سَحَّ غُـروب
أيـا «فَـوْزُ» لـو أبـصـرتـنـي مـا عَـرفـتـني لـطـولِ نـحـولي بـعـدكـم وشـحـوبـي



وأنتِ من الدنيا نصيبي فإنْ أمُتْ ... فليتك من حُورِ الجنان نصيبي
سأحفَظُ ما قد كان بيني و بينكمْ ... وأرعاكُمُ في مشهدِي ومَغِيبي
وكنتم تَزينونَ «العراقَ» فشانهُ ... ترحُّلُكم عنه وذاك مُذيبي
وكنتم وكنّا في جِوارٍ بغبطةٍ ... نُخالِسُ لحظَ العينِ كلَّ رقيب
فإنْ يكُ حال الناسُ بيني و بينكمْ ... فإنَّ الهوى والودَّ غيرُ مَشوب
فلا ضحِك الواشون يا «فوزُ» بعدكُمْ ... ولا جمدتْ عينٌ جرت بسُكوب
وإني لأستهدي الرياحَ سلامَكُمْ ... إذا أقبلت من نحوكم بهبُوب
وأسألُها حملَ السلام إليكُمُ ... فإنْ هيَ يوماً بلَّغت فأجيبي

* * *

أرى البينَ يشكوه الأحِبَّةُ كلُّهم ... فيا رَبِّ قَرِّبْ دارَ كلِّ حبيب
وأبيَض سبّاقٍ طويلٍ نِجادُه ... أشمَّ خصيبِ الراحتينِ وَهوب
أنافَ بضَبْعَيهِ إلى فرعِ هاشمٍ ... نجيبٌ نماه ماجدٌ نجيبِ
لحَانِي فلما شام برقي وأمطرتْ ... جفوني بكى لي مُوجَعٌ لكروبي
فقلت أعبدَ الله أسعدتَ ذا هوىً ... يحاول قلباً مُبْتلى بنُكوب
سأسقيكَ نَدْماني بكأسٍ مِزاجُها ... أفانينُ دمعٍ مُسبَلٍ وسَرُوب
ألم تَرَ أنَّ الحبَّ أخلقَ جِدَّتي ... وشيَّب رأسي قبلَ حينِ مشيبي؟

* * *

ألا أيها الباكون من ألَم الهوى ... أظنُّكُمُ أدْركتُمُ «بِذَنوب»
تعالَوا نُدافعْ جُهْدَنا عن قلوبنا ... فيوشكَ أنْ نبقى بغيرِ قلوب
كأنْ لم تكن «فوزٌ» لأهلِكَ جارةً ... بأكنافِ «شَطٍّ» أو بِمذْنَبِ «سِيب»
أقول وداري «بالعراقِ» ودارُها ... حِجازيةٌ في حَرَّةٍ وسُهوب
وكلُّ قريب الدارِ لابدَّ مرةً ... سيُصبحُ يوماً وهوغيرُ قريب
سقى منزلا بين «العقيق» و«واقمٍ» ... إلى كل أطمٍ «بالحجاز» ولوب
أجَشُّ هَزيمُ الرعدِ دانٍ ربابُه ... يجودُ بسُقيا شمألٍ وجنوب

أَزُوَّارَ «بيت الله» مُرّوا «بيَثْرب» لحاجةِ مَتبولِ الفؤادِ كئيب
إذا ما أتيتُمْ «يثرباً» فتبرَّءوا بلطمِ خُدود أو بشَقِّ جُيوب
وقولوا لهم يا أهلَ «يثربَ» أسعدُوا على جَلَب للحادثاتِ حليب
فإنا تركنا «بالعراق» أخا هوى تنشَّب رهناً في حبال شَعُوب
به سَقَمٌ اعْيا المُداوِينَ علمُه سوى ظنِّهم من مُخطىءٍ ومُصيب
إذا ما عصرنا الماء في فيه مَجَّهُ وإنْ نحن نادينا فغيرُ مُجيب
تأنَّوا فبكُّوني صُراحاً بنسبتي ليعلمَ ما تَعنونَ كلُّ غريب
فإنكُمُ إنْ تفعلوا ذاك تأتِكُمْ أميمة خَوْد كالمهاةِ لَعوب
عزيزٌ عليها ما وعتْ غيرَ أنها نأت وبناتُ الدهرِ ذاتُ خطوبِ
فقولوا لها قُولي «لفوز» تعطَّفي على جَسَدٍ لا رُوحَ فيه سليب
خُذوا لِيَ منها جرعةً في زجاجة ألا إنها لو تعلمون طبيبي
وسيروا فإنْ أدركتُمُ بي حُشاشةً لها في نواحي الصدرِ وجسُ دبيب
فرُشُّوا على وجهي أُفِقْ من بليَّتي يُثيبكُمُ ذو العرشِ خيرُ مُثيب
فإنْ قال أهلي ما الذي جئتُمُ به وقد يُحسنُ التعليلَ كلُّ أديب
فقولوا لهم: جئناهُ من ماء «زَمْزَمٍ» ـ لِنشفيهِ من داء به ـ بذَنوب
وإنْ أنتُمُ جِئتُمْ وقد حِيلَ بينكُمْ وبيني بيومٍ للمَنونِ عصيب
وصِرتُ من الدنيا إلى قعرِ حفرةٍ حليفَ صَفيحٍ مُطْبَقٍ وكثيب
فَرُشّوا على قبري من الماء واندُبوا قتيلَ كعابٍ لا قَتيلَ حُروب

* * *

ومع الأحنف مرّة أخرى، ومع رسالة أخرى يكتبها المحب إلى حبيبه، وعينه دامعة، وجسمه أتى عليه الشوق فجعله نحيلاً هزيلاً، وقلبه ثابت على الغرام لا ينتهي عنه، وسمعه أصيب بالضرر أيضا وكلُّها من باب الشكوى والاستعطاف ليرق قلب الحبيب، و يرد عليه فكتابه كما يقول يُبكي السميع وتلين له القلوب، فيه العجائب، وفيه فقدان الصّبر، بعد أن صبر الصّبر الجميل، وما حب حبّه جميلٌ ولا عروة ولا المرقّش الهاوي.

و بعد هذا الاستعراض الهادف ، وأمام هذا الاستعطاف ليس لها إلا أن ترد عليه فيطلب منها يديها للمصالحة ، و يؤكد عليها أن ترد الجواب ، يقول (١) :

كَتب المحبُّ إلى الحبيب رسالةً ... والعينُ منه ما تجِفُّ من البُكا
والجسمُ منه قد أضرَّ به البلى ... والقلبُ منه ما يطاوع مَن نَهى
قد صار مثلَ الخيطِ من ذِكراكُمُ ... والسمعُ منه ليس يَسمع مَنْ دعا
هذا كتابٌ نحوَكم أرسلتُه ... يبكي السميعُ له و يبكي مَن قرا
فيه العجائبُ من محبٍّ عاشقٍ ... أطفاه حبُّكِ يا حبيبةُ فانطفا
وصبرتُ حتى عِيل صبري كلُّه ... وهو يتكم -يا حبَّ نفسي- لِلشَقا
وكتمتُ حبَّكِ فاعلمي واستيقني ... والحبُّ من غيري ، فديتُكِ ، قد أبى
أفما لِهذا حُرمةٌ محفوظةٌ ... أو ما لهذا ، يا فديتُكِ من جَزا؟
ما إنْ صَبا مثلي «جميلٌ» فاعلمي ... حقًّا ، ولا المقتولُ«عُرْوةُ» إذ صبا
لا ، لا ولا مثلي «المُرَقِّش» إذ هوِي ... «أسماء» للحَيْنِ المُحتَّمِ والقضا
هاتِي يديكِ فصالِحيني مرَّة ... لِنَسُبَّ مَن بالصَّرْمِ يا نفسي بدا
رُدِّي جواب رسالتي واستيقني ... أنَّ الرسالةَ منكُمُ عندي شِفا
مِنِّي السلامُ عليكُمُ يا مُنيتي ... عَدَد النجوم وكُلّ طيرٍ في السَّما

* * *

ونعود إلى صندوق آخر من صناديق بريد المحبين ، هذا الصندوق للشاعر محمد الجيار و بريده لا يحمله كتاب في غلاف ، ولا يسير به قطار، أو يطير به جناح وإنما هو كتاب خفَّاق يحلّق في آفاق الدنيا ، ويحط على رأس كل إنسان يهيب به أن يتأمل قدره ، وأن ينظر مصيره .. وأن يَفْقَه حقيقة صنيعه ، و يعمل من أجل السلام .. سلام البشر، الذين لم ينعموا بالسَّلام ، إنه بلا شك بريد الإنسانية ، يقول (٢) :

---

(١) انظر ديوان العباس بن الأحنف .

(٢) وعلى الأرض السلام ( رسالة إلى الإنسان ) للشاعر محمد الجيار.

رســــالتي إليــك حيث أنت يا إنسانْ
يا صانعاً حضارة لا تعرف الأمان
من ألف حقبة لم يسقط المطر
جئنا.. لكي نموت يا تعاسة البشر

والكتابُ في نصوص القُدامى ــوفي لغة المحدثين كذلكــ خطاب البريد، والبريد في معاجم العرب يعني الوصال المرتب، كما يعني «الرسول». وشاعر «البريد» في هذا «الكتاب» من الشام..

خليل مردم .. أجمل به من شاعر ذي مكانة بين الكبار في أدب أمتهم وأصالة شآمهم، فيه عبيرالرّبى، وشموخ الرّواسي، وحفل الغوطة. وفيه توائم من الرَّوْح والريحان، والأنغام، وكل ما هو حلو جني..

وكان الشاعر فيمن كتب وكُتِبَ له.. وممن تواصل حبل الهوى بينه و بين مَنْ عشِق مِنْ ذوات الروح، وربّات الوجد..

وقد أتاه «كتابها» فدعاه.. و يالله من ذاك «الكتاب»، فقد هام بها، ولج في حبها، ونازعته النّفس في لقياها.. وسهدت عيناه، وما ظفر من مرآها... وقد همَّ ولم يفعل.. حياءً منها.. ومنه.. ولاذ بالهوى العذري.. على نهج الشعراء.. من بني عبقر أو بني عُذرة.. لكمُ الله أيها الشعراء!!

يقول خليل مردم بك: (١)

كتابك حين ألقى لي دعا قلبي إلى حبك

* * *

عيون من كلامك قد أرتني كلَّ ما يُصبي
وَمثَّلنكِ للقلبِ فهام ولج بالحب

---

(١) ديوان خليل مردم بك.. منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق.. قصيدة «كتابك»..

فـيـا لله مـا لاقـى ... فـؤاد الـصـب مـن كـتـبـك

* * *

فـكـم هـيـجـتِ لي نـفـسـاً ... تـنـازعـنـي لـلـقـيـاكِ
وكـم أسـهـرت لي عـيـنـاً ... ومـا اكتحلـتْ بمـرآك
فـمـا هـذا الـذي ألـقـى ... أمـن كـسـبـي أم كـسـبـك؟

* * *

وقـد وقـفـتْ عـلـيـك الـعـيـنُ في جمـع بـنـاديـكِ
لـكـدت بـوحـي نفسي قبـ ... ـل مـعـرفـةٍ أنـاديـك
همـمـت بـذا ولـم أفـعـل ... حـيـاء مـنـك في سـربـك

وفي قصيدة «الساعة الرابعة» تميل الشاعرة روحية القليني إلى البريد، فيس يكفيها هاتفها وإنما تسخّر لعواطفها كل وسائل النقل من هاتف و بريد.. لا ينقصها غير البرق.. ومن يدري فلعل برقا خاطفا بينها و بين ذياك الذي تقف عليه النلب والسمع والبصر.

لعل رسالته في الطريق!!.. وتلك الرسالة شط الغريق!

ما أشد الفراق وما أجمل اللقاء!

أعيش على أمل في اللقاء... فهل لا يعود الحبيب الصديق.. نعم.. «فالشواعر» قد لا يفصلن بين الحبيب والصديق.. فالناس عندهم أحباء وكل البشر أصدقاء..

فـكـيـف إذا غـاب عـنـي أطـيـق ... وكـيـف يـقـر فـؤادي المـشـوق(1)
فـيـمضي بـعـيـداً بـعـيـداً هـنـاك ... وأبـقـى أنـا في لهـيـب الحـريـق
أعـانـق سـهـد الـلـيـالي وأحـكـي ... لـسـمـع الـوسـاد هـواي الـعـمـيـق

---

(1) ديوان عبير قلب للشاعرة روحية القليني.

أقول لكل صباح جديد　　لعل رسالته في الطريق
فاني غرقى ببحر اشتياقي　　وتلك الرسالة شط الغريق
فيمضي وأبقى مع الذكريات　　فحبي عميق وعهدي وثيق
أعيش على أمل في اللقاء　　فهل لا يعود الحبيب الصديق

أما الشاعر السعودي (مطلق الذيابي) فقد عبر عما يحمله قلبه من الحب والأشواق والتطرق إلى رسالة المحبوبة التي تلقاها حيث قال في قصيدة طويلة أسماها

(سطران) يصف فيها ــ رغم أنهما سطران ــ ولكن ما تحمله من المعاني السامية والخواطر الفياضة هما كل الدنيا:

سطران كتابك.. لا أكثر　　حملا شكرانك.. يا أسمر
سطران هما كل الدنيا　　بهما يا قلبي.. أتدثر
فقرأتهما... وقرأتهما　　مئة.. ألفا.. لا بل أكثر
سطران العفة روحهما　　لكنهما... نار تصهر
سطران كحاجبك الأسنى　　بمحيا الفجر.. إذا أسفر
أما همساتك في أذني　　نغمات تأسرني تسحر
ولواعج أشواقي تذكي　　في الصدر ضراما.. لا يفتر
الحب وهبتك أخلصه　　وحضنت هواك هوى أكبر
فهواك البحر تقاذفني　　والقلب بلجته أبحر
هل تقرأ شعري.. يا أملي　　إن كنت قرأت.. ألا تذكر
قد صغت بسحرك نابضه　　من شعري في الثوب الأصفر
في الشفق الأحمر في خديك　　وضوء البدر... إذا أزهر
في ذوب الورد.. ينفره　　خجل في الوجنة يتفجر
لا مطمع في خلدي يزري　　بل روحك لي.. أمل أخضر
سميتك أسمر هل تدري؟　　برنين صدى اسمك لم أجهر
فشغاف القلب تغلفه　　سيعيش العمر... ولا يظهر

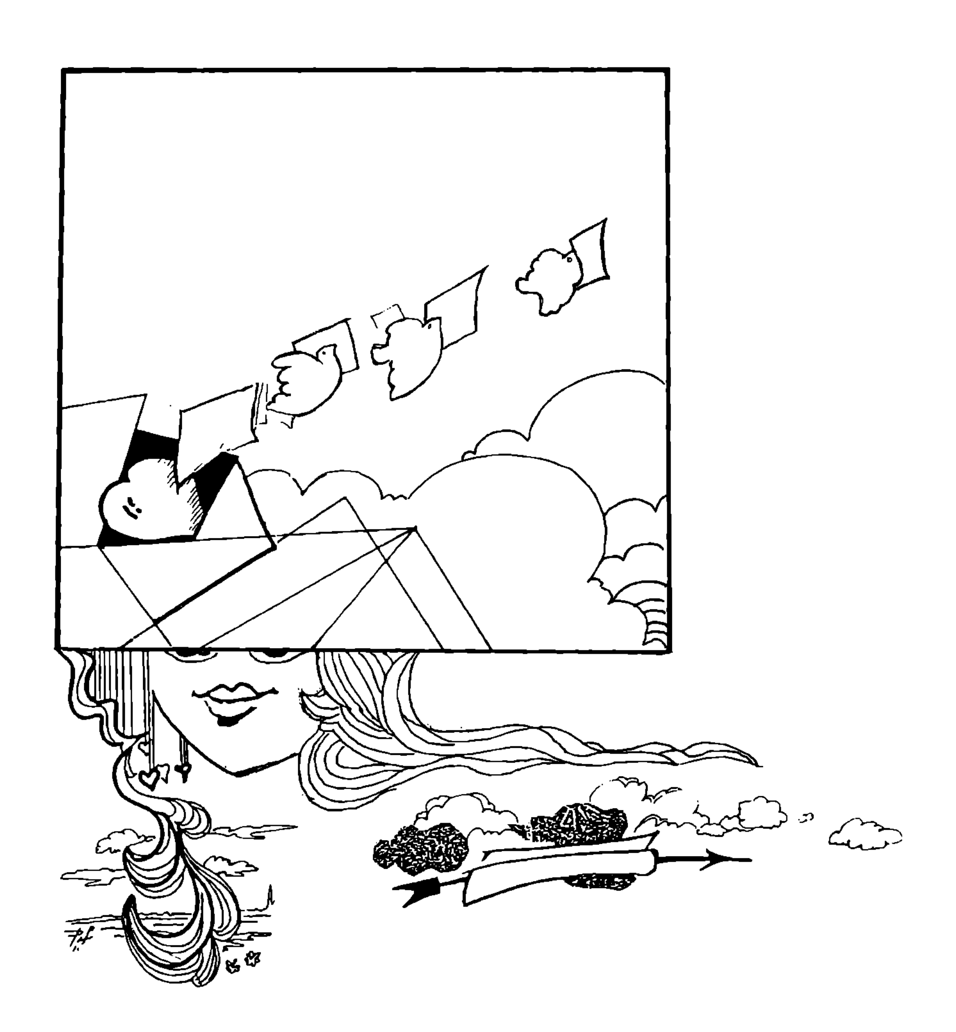
ستظل الملهم في الحالين    إذا أقبلت.. وإن تنفر

وما زلنا نواصل استعراض كلمات شاعرنا الولهان.. (مطلق الذيابي) الذي نشعر من كلماته في هذه القصيدة (انتظار) بحلاوة الكلمات وأسمى التعابير واصفاً لهيب أشجانه.. منتظراً على أحر من الجمر رسالة من حبيبة قلبه فيقول:

أنا في انتظار خطابك الأول    فلقد بعثت خطابي الثاني
ضمنته ما جد من أرقي    وسكبت فيه لهيب أشجاني
ماذا فعلت؟ فأنتِ آسرتي    والحب سر هواك أسقاني
إيمان.. يافجر الدنا طلعت    فيه الشموس تنير وجداني
الشعر أورق يانعا بفمي    منه بحبك صغت ألحاني
لا شعر قبل هواك أحسنه    واليوم يزهر فيه بستاني
الحب أنت وأنت نبض دمي    سهم التنائي عنك أقصاني
أنت الغنى أثريت عاطفتي    ولأنت فيض الحب أغناني
أهديتني الدنيا و بهجتها    حين احتواني قلبك الحاني
أنت السعادة رف بارقها    من مقلتيك.. وسحرك الهاني
ما كنت أحسب قبل صدفتنا    أن الهناءة منك.. تلقاني

و يهنىء شاعرنا (مطلق الذيابي) صدق قلبه عبر أسطر خطاب محبوبته في قصيدة (خطابك) الذي قرأه بلهفة العاشق الولهان.. ليس بعينيه ولكن بعيون قلبه الخفاق بالأمل والأماني، لما يحمله هذا الخطاب من أسمى المعاني فيذكر:

خطابك جاءني.. فلى التهاني    تضوع منه نشر الزعفران
قرأت سطوره.. بعيون قلبي    وأشرق خافقي بسنا الأماني
خطابك يا حبيب الروح كنز    أطالع فيه حبات الجماني
أطالع فيه در القول صدقا    كما صدق الهوى لك من جناني



حبيبي... يا أعز الناس عندي　　متى يهنا محبك.. بالتداني؟

وفي ليلة ليلاء تعصف به الأشواق، و يرجع إلى الماضي، و يبحث عن الذكريات و يتناول رسالتها و يقرأ أيام الحب في ظل الخميلة و يتذكر الحكايات، واللقيا، فيراها قصة حب خالدة:

في ليلة عصفت بى الأشواق والدنيا سكون
ورجعت للماضي الحبيب بكل ألوان الحنين
أتلو رسالتك الحبيبة حين تعصف بى الشجون
استرجع الحب الفتى وفي الهوى بعض الجنون
وأقول هل مازال يهواني وتعصف بى الظنون
والنبض في الكلمات يصرخ أن حبك لا يهون
ترتاح نفسي، تستقر، أقول مثلك لا يخون

* * *

وقرأت في طي الرسالة كل أيامي الجميله
أيام كنا نلتقي بالحب في ظل الخميله
نحكي ونحكي لا نمل كأنها قصص الطفوله
ونخاف لو مرت أماسينا وليس هناك حيله
ونود لو نسى الزمان وأضحت اللقيا طو يله

* * *

هي قصتي في الحب خالدة على مر الدهور
البعض طي رسائل والبعض في عمق الضمير
من عاش مثلي في الهوى يدري البداية والمصير[1]

و يعبر الذيابي عن تعطشه لعبارات الهوى وتشوقه في «الرسالة» تأتيه رسالتها

---

(١)　ديوان حنين إلى ...

فيقلبها، و يقرؤها، و يعود إلى الألفاظ بهواها ينساب منها نبع الشوق فلا يمل منها، يقول[١]:

الرســـالة ...

عـنـدمـا جـاءت إلـيـنـا مـنـك ... قـبـلـنـا الـرسـالـة

وقــرأناهــا ...

وعـــدنـا لـعـبـــارات الهـــوى ... دون ملالـــــة

وحفظنـــا كل حـــرف مشـــرق .

ينســـــاب من نبــــع ... الأصـــــالة

أنـت يـا مـــن تمـنــــح الــــروح بتـحـنـانــــك

وردى المقـــالة ...

ليس في القلــــب ...

ســـــوى حــــب ... محضنـــــاك صفـــا

فاشــــرب زلاليـــه ...

ومن طريف البريد ما يكتب على التفاح المُهْدَى، وما يكتب على ورق الورد، وما يكتب على الصخر من قلب رهيف أضناه الهوى، وأضعفه الجوى وقبل أن أذهب بكم إلى الهاتف وأشجانه، أرى أن أقدم لكم حكاية طريفة في هذا الجانب.

فمن طريف شعر العشاق المكتوب على الحجر بريداً، ما حكاه الأصمعي قال: بينما أنا أسير بالبادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت المفرد:

ألا مـعشر الـعـشـاق بـالله خـبـروا ... إذا حلَّ عـشق بـالـفـتـى كيف يصنع

فكتبت تحته:

يـداري هـواه ثـم يـكـتـم سـرّه ... ويخـشـع في كـل الأمـور ويخـضـع

---

(١) سمعت بنبأ وفاة الشاعر مطلق الذيابي وأنا أضع اللمسات الأخيرة في هذا الكتاب، ومن حقه علينا أن نعرّف الأخوة القراء بهذا الشاعر المرحوم: ولد سنة ١٣٤٦ بالأردن، وعمل بالإذاعة السعودية ونال شهرة واسعة ـ وحظا من الدنيا ضيق، وقد توفي بجدة سنة ١٤٠٣هـ، ورثاه مؤلف هذا الكتاب بمقال مؤثر دامع. كان عفيف النفس لطيف المعشر أشم المعطس رقيق الشمائل.

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوباً تحته :

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى ... وفي كل يوم روحه تتقطع

فكتبت تحته :

إذا لم يجد صبرا لكتمان سرّه ... فليس له شيء سوى الموت أنفع

وعدت فوجدت هذا البيت :

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا ... رسالتنا مَن كان بالوصل يمنع

(قال) فوجدت شاباً مكفياً تحت ذلك الحجر ميتاً[1] .

ونختتم فصلنا هذا باللقاء مع كاتب العربية الكبير عباس محمود العقاد الذي يصيح بساعي البريد مطالبا بعدم الترتيب في توزيع الرسائل على أصحابها بل يدعوه أن ينطلق لداره رأسا من مكتب البريد لأن الشاعر متلهف لا يطيق الاصطبار ولا يقوى على الانتظار:

ماذلك التنسيق ... والجمع والتفريق
والقفز والتعويق ... يا ساعي البريد

و يصل المحبوب الذي كان ينتظره العقاد فلم يعد يحفل بالساعي كما كان يحفل به من قبل لأن من كان ينتظر أن يحضر له أخباره حضر بنفسه فليس بعد بحاجة إلى أن يرقب الطريق و ينتظر الطارق .

عجب الساعي الذي كنت له ... أبداً في شرفتي منتظرا
إن من تحضر لي أخباره ... أيها الساعي بخير حضرا
ألق إن شئت خطابا حافلاً ... لا أبالي لحظة إن حضرا

(١) أنظر تحفة المجالس ، للسيوطي ص ١٢٠ القاهرة ، ١٣٢٦ هـ ــ ١٩٠٨ .

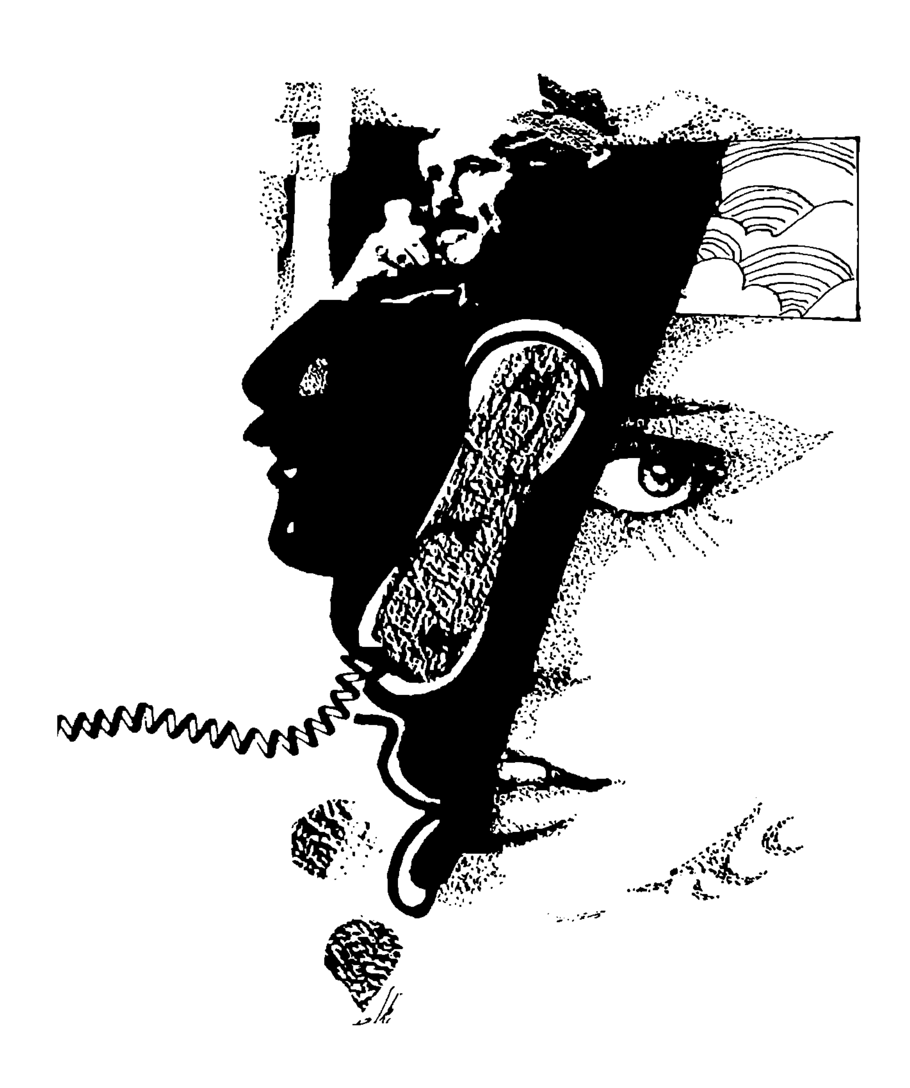
الـطـريـق الآن لا أرقـبـه | لأرى وجـهـك لـكـن لأرى
---|---
ولـك الـشـكـر ولي الـعـذر فلا | تـظـهـر الآن فـهـا قـد ظـهـرا
لا تـذكـرنـي نـواه بـعـدمـا | كـنـت تـروي عنـه ذكـرا عطـرا (١)

أرأيتم أيها القراء الأعزاء كيف تبلغ أهمية ذلك (الساعي الصغير) إن له عند الكبار مقاما ومكانة فقد ردد الأدباء والشعراء ذكره في مقالاتهم وأشعارهم كما رددته الملايين في الأرض منذ كان عشاق وسعاة و بريد، وإن حناجر الغيد الحسان لتهتف مع المطربة نجاح سلام (بالله عليك يا موزع البريد).

إن أيدي المحبين بتخطف الرسائل من يد ساعي البريد وتنكب عليها لثما وتقبيلا أو تضعها على القلوب وتمسح بها الصدور وتشمّهـا الأنوف، وتقبلها الشفاه والثغور، وأحيانا يخفيها المحبون تحت الوسائد، أو يبتلعونها في بطونهم وأجوافهم ليختلط مداد الحبيب بدم الجسم واللحم، تعبيراً عن الامتزاج والاتحاد وعدم الفراق والانفكاك، وهم يفعلون ذلك لحرمان العواذل والحساد من إمساكها وتمزيقها، فتتمزق معها آمال وتتحطم برامج حب ومشاريع غرام، وكثيراً ما سبب البريد سفك دماء أو سفح دموع أو تكسر تنهدات بين الضلوع!..

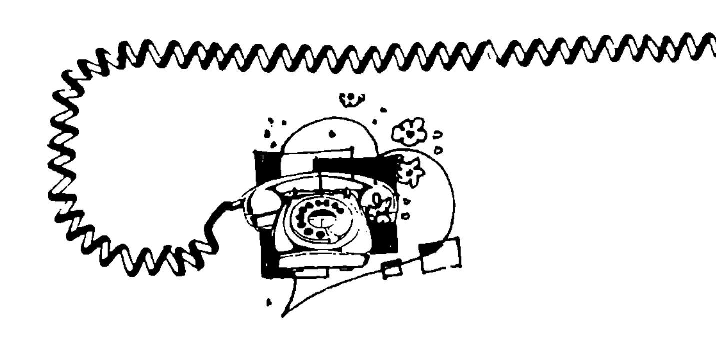


(١) خمسة دواوين للعقاد.



# ٣

# الهاتف في الشعر العربي




Twitter: @abdulllah1994



# الهاتف في الشعر العربي

عرّف اللغويون والنّحاة (الهاتف) بأنه من يتكلم ولا يُرى (بضم الياء) وهو الصوت، وإذا تذكرنا أن الهاء حرف مهموس نكون قد حددنا مقياس هذا الصوت، وما دمنا بصدد الحديث عن الهاتف والعواطف فما أكثر ما يتراءى للمحب طيف الحبيب، فيكلمه ولا يراه، أو يهذي بذكره وذكراه، وجاء عصر الهاتف الآلي فحقق شيئا من آمال المحبين، فإذا كانت المكاتبة نصف المشاهدة، أو هي المشاهدة نفسها، فإذا رنّ جرس الهاتف حضنه بين يديه، وألصق جزءاً منه بشفتيه وأذنيه وقال شكواه وأسمعه تأوهاته وزفراته وناجاه وأطلعه على أسراره وخصوصياته، وقال له عبر هذا الجهاز الصغير ما يجوز وما لا يجوز، فيسمع ضحكاته تأتي مجلجلة عبر الأسلاك، أو يحس شهيقه يعبر إليه و يطوي المسافات والأميال فكأنه بين يديه. إن الهاتف بحق هو رسول العشاق إن شاقهم لقاء الأحباب، وحالت دون ذلك موانع وأسباب.

وإذا ذُكر الهاتف والشعراء، برز في المقدمة شاعرنا السّعودي طاهر زمخشري يتقدم الصفوف، و يبز القوم و يزيد في القصيد فله مع المحبوب والهاتف وقفات طويلات، فمن قصيدته «صدى ضحكة هاتفية» يقول:

أيـا صـدى غـرد في (هـاتـف)          عـطـل بـالـسحـر فضـول الرقيـب

قد سابق الغمزة من جفنها إليَّ بساما ففاض النحيب
وحمَّل الأسلاك ترنيمة...... معزافها النشوان ثغر رطيب
يجلو الدراري باسمات الرؤى و ينثر الدر و يسبي القلوب
و يرسل الأنغام خمرية وفي الحنايا من صداها دبيب
يأسو جراحاتي وأطيافها بين عيوني أنجم لا تغيب
توحي الأغاريد لقيثارتي فأنثر الألحان عبر الدروب
تلتاع لا بالبعد أونارة فمصدر اللوعة قرب الحبيب
كل نصيبي منه إيماءة تدمي وتبقي في الحنايا ندوب
استشعر الحسرة من رجعها فيذرف الآهات قلبي الطروب
فيطرق السمع صدى ضحكة تجعلني أصدح كالعندليب
فأملأ الدنيا جوى صارخا في ظله النجوى بحبي تطيب (١)

و يقول واصفاً صوت الحبيب المغرد يتخطى عبر الأثير فيثير الشوق و يؤجج النار و يذكي الشعور:

كيف بالله بالوجيب المثير قد تخطى الأبعاد عبر الأثير؟
صوتها الهامس المغرد في التيار فوق اللهيب بالتعبير
تتهاوى له المسرّة للمسمع ورجع الصدى بعمق الشعور
وعلى وقعه فؤادي من اللهفة أجرى حنينه في الزفير

وحبل الهاتف الممدود طالما أوحى للشاعر بالرؤى والصور، فيقول :

ورن في مسمعي صوت له نغم متى تماوج دق القلب ملتاعا
أسرى به ألق من جوف عاذله هي المسرة مدت حبلها باعا

---

(١) أغاريد الصحراء.

للوصل لكن بلا رؤيا فان سمحت      جادت فجمعت العشاق أسماعا
بها تعانقت الأرواح هانئة      وإن صفو الهوى من رجعها شاعا

* * *

ونتابع الزمخشري ونتبع فرحته برنين الهاتف:

أيها الخانق من صَمت الهوى      لا تذب نفسك شجواً وأنينا
ها هو الهاتف في مقعده      في سكون الليل قد بث العيونا
ظمأ الشوق به في لهفة      يرتجي النجوى وتأبى أن يحينا
فإذا جاءت له لو همسة      سكب الفرحة في سمعي رنينا

* * *

وتلفون الزمخشري معلق بالجدار فإذا اتصل الحبيب من الطرف الآخر سمعت له رنينا قو يا يوقظ النيام من سباتهم:

وافترقنا
وإلى لقاء .. أزف
الوعد جاذبتني ظنوني
وعلى الصمت في الجدارعذول .. كان
خفاقه قوى الرنين
ساخراً
بالذي يعد الثواني .. في
جنون وليس بالمجنون
وقال
يا من إلى فتاتك تهفو
أنا قدمت وعدها من حنينى .. (١)

(١) رباعيات صبا نجد.

ونلتقي بالشاعرة الكويتية سعاد عبدالله المبارك الصباح، فهي تخاطب الهاتف الذي طالما أسعدها بلقاء وحديث، وتلقت عبره أخباراً و بشائر ولكنه الآن صامت أخرس أبكم لا يتكلم، فهي تهدده بالتحطيم حتى يكون هشيما تذروه الرياح إن لم يتكلم و يترنم و يصحومن سبات:

| | |
|---|---|
| أيها الأبكم الأصم تكلم | وترنم ولا تحطم غروري |
| أنا عانقت فيك لهفة روحي | أنا مثلت فيك فيض شعوري |
| أنا رقرقت فيك حرقة قلبي | وجوى خاطرى وحر سعيري |
| لتدب الحياة فيك لتصحو | من سبات الرّدى وصمت القبور |
| لتذوب الثلوج عنك لتجلو | بالرّنين الحبيب صوت أميري |
| في حديث أرق من نغم النّا | ي وهمس الصّبا ونجوى الطيور |
| أيها الأبكم الأصم تحرّك | يا جماداً يحيا بغير ضمير |
| لا تثرني بلونك الأسود الجـ | ـهم وتهديد صمتك الموتور |
| لا تدعني أهوى عليك بسخطي | ثم أذروك كالهشيم النثير |
| لا تثرني فطالما كنت سلوا | ي وعوني ومنقذي ومجيري |
| كم تلقيت لي سطور حنان | مشتهاة حروفها من نور |
| كم ترفقت بي وأسعدت عمري | بلقاء الحبيب عبر الأثير |
| فإذا بي أستغفر الحبيب لما | ضي، وأصحو على نداء البشير |
| وألبي سماعتي وهي تدعو | ني وأنسى هواجسي وغروري (١) |

* * *

ولشاعر المهجر جورج صيدح من قصيدة عنوانها (على الهاتف):

| | |
|---|---|
| لج بي تذكارها ليلة سهد | وشجاني أنني في الدار وحدي |
| أترى تشتاقني من بعد صد | أنا لا أسعى إليها بالتماس |

---

(١) ديوان الشعر الكويتي.

لا أناديها ولو تقطع رأسي

غير أن الهاتف الملقى بقربي    رقم الرقم الذي أملاه قلبي
فإذا الصوت الذي أرجو يلبي    ويحييني فاستلقى التحية

زقزقات من فم الخط شجية

قلت: أوصيك بنسياني بتاتا    لا تضيعي الجهد غنجا وشكاتا
قد خنقت الحب في صدري فماتا    فاحجبي وجهك عني ما حييت

حاذري أن تطرقي باب مبيتي

سقط الهاتف من كف الصبية    وأطاعتني بعصيان الوصية
فهمتني مرة يا للذكية    أقبلت من فورها تعدو إليا

وطوانا الليل بالأستار طيا (١)

يمتاز الشاعر عبدالكريم الكرمي.. بسلاسة أسلوبه.. وعذوبته.. فله وقع جميل على سامعه.. يهز المشاعر.. ويحرك العواطف.. و يلهب الوجدان ونرى هذا جلياً في قصيدته (هاتف الشوق) الذي يتمنى فيها أن يكون جار حبيبته يراها و يسمع صوتها، تقول له (يا صباح الخير)!.. فهذه الكلمة أشهى من النبيذ المعتق.. يقول:

خفق (الهاتف) الذي نقل الصوت    وللخفق كان قلبي أسبق
رق من صوتها ولان.. وقالت    إن صوتي لو لامس الصخر أورق
ينتشي الحرف عندما تلفظ الشوق    وشعري بالعطر والنور يعبق

* * *

ليتني كنت جارها.. فأرى الصبح    على دارها الحبيبة أشرق
كل يوم تقول لي: (يا صباح الخير)    أشهى من النبيذ المعتق
وتضيء المدى أشعة عينيها    ولم يبق في المدى السر مغلق
فالقلوب انحنت على النور نشوى    كل قلب على شعاع معلق

(١) ديوان صيدح.

أموي الهوى فمن رام أن يخلد في الحب والحياة تدمشق (١)

و يصف الشاعر محمد العيد الخطراوي هاتفه وقد نطق بعد صمت مطبق صار الهاتف لحناً ساحراً، و يأتيه صوتها من الطرف الآخر (من؟) فيخفق قلبه و يتمنى لو أنه على هاتف تلفزيوني ليراها وتراه يقول: (٢)

تلفنت فالفضاء أصبح عرسا زاخرا بالغناء والإنشاد
والجهاز الأصم صار لحونا ساحرات جميلة الترداد
أمسكت برهة وعادت تنادي مرحبا، من؟ فزاد خفق فؤادي
وتمنيت هاتفا تلفزيا كي أراها وأستعيد ودادي

* * *

والشاعر المصري الكبير عزيز أباظة يستمتع بالصوت يأتيه من الهاتف فيخف له و يطرب:

حمل الهاتف لي منك صدى خاضع النبرة مخمور الرنين
خلته صوتا من الخلد زكا مثلما يزكو ابتهال المرسلين
لج في حبك خوداً طفلة والتظى حبك عند الأربعين

* * *

والشاعر السعودي الشاب عبدالرحمن العشماوي يصف مشاعره وأحاسيسه ولهفته وارتجاف حديثه حين يهتف له المحبوب عبر الهاتف فيقول من قصيدة له بعنوان (رعشة هاتفية):

لن يتم اجتماعنا فاعذريني وعزائي سماعة التلفون

---

(١) ديوان أبي سلمى، (عبدالكريم الكرمي).
(٢) ديوان (همسات في آذن الليل)، محمد العيد الخطراوي.

هي خير من الرسائل لولا | رعشة حين ربعها تعتريني
أنضد القول قبل أن نتحاكى | وأنقى من الكلام الرصين
فإذا ما سمعت صوتك ضاعت | كلماتي لفرحة تحتويني
أنهب القول من حديثك شوقا | لحديث مرصع بالحنين
وإذا رن خافقي هتف الـ | ـقلب وزادت لواعجي وشجوني
فاعذريني إذا سمعت ارتباكا.. | في كلامي ورجفة في يميني

وميشال نعمة يدعوها أن تتصل به كل ليلة فهو يرقب صوتها و ينتظر حديثها ليملأ عمره هناء ومسرة:

تلفني كل مساء | تملأي عمري هناء
أي لقيا دون وعد | تتمادى في العطاء
أرقب الصوت كأنّي... | مترف قبل الثراء
وكأني طائر يمضي | إلى كل فضاء

إلى أن يقول:

وغدا يمضي الشّباب | و يوارينا التراب
لا تعودين إلى الهاتف | نملي بالرغاب
أحرام نلتقي أن | نرتوي قبل الغياب
وإذا نحن ارتوينا | تمرع الأرض اليباب (١)

وللهاتف اسم آخر هو (المسرّة) لأنه يسر الحديث، و يهمس به، وحسبكم أحاديث المحبين والعشاق فهي بحق أسرار يجب أن تحجب عن الحساد وتصان عن المتربصين والعذال.

وهذا الشاعر الكبير (علي الجندي) يصف عبث الغيد الحسان وتنكر النساء وتغيير

---

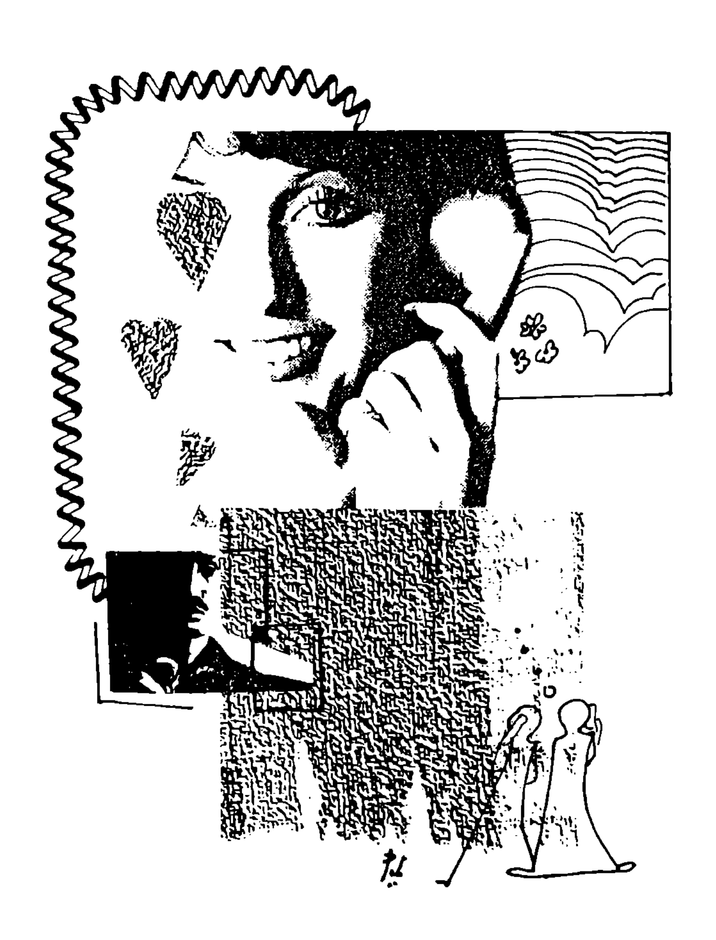
(١) ديوانا (معاً).

أصواتهن فقد حدثته إحداهن بواسطة التلفون فلما سألها من تكون قالت (وهل يخفى القمر) ثم سلمت مودعة واعدة أن تتكلم في وقت آخر:

| | |
|---|---|
| يــا حـديـثـا في المـسـرة | لـقـن الـقـلـب المـسـره |
| مـن حـبـيـب لـو أراني | وجـهـه مـا كـان ضـره |
| يـؤثـر الحـب سـمـاعـا | أيـرى الحـب مـعـره |
| واصـل (الأذن) ومـا جـاد | على (الـعين) بـنـظـره |
| وعـنـاء أن يـود المـرء | مـن يجـهـل أمـره |
| ألـه في ذلـك عـذر | ليتـني أعـرف عـذره |
| لا أرى الـعـيش بصاف | لي أو أكـشـف أمـره |
| أيـهـا المـهـدي على البـعـد | إلى سـمـعـي دره |
| والـذي حـال بـه الـقـلـب | مـن اللـوعـة جمـره |
| والـذي بـلـبـل فـكـري | وكـسـا عـقلي حـيـره |
| والـذي يـكـتـم حـبـي | والـذي يـظـهـر غـيـره |
| لا تـلـذ الـفـرحـة عيـنـي | أو أرى وجـهـك جـهـره |

ونار انتظار محادثة من حبيب بجوار الهاتف لا يعرفها إلا من عاناها وتململ من أجلها (فلا يعرف الشوق إلا من يكابده) كما قيل وقد قالت إحداهن لعلي الجندي سأكلمك بالتلفون في ساعة حددتها (في الليل) وسهر شاعرنا العاشق الوامق بجوار الهاتف متحفزا منتظرا ممنيا النفس بحب جديد ولكن من وعد لم يوف ومضت ساعات طوال ولم تتكلم حسبها الله ونعم الوكيل، فقضى الشاعر البائس اليائس بقية ليله ساهرا يتقلب على جمر الغضا:

| | |
|---|---|
| وعـدت بـالـكـلام (لـيلى) ولـوجـا | دت لـكـان الـكـلام بـرء الـكـلام |
| رب لـفـظ مـنـهـا شـفـى غـلـة الـصـب | ونـدى جـوانـح المـسـتـهـام |




Twitter: @abdulllah1994

ليس قولا ما فات سمعي بالأمس     ولكنه هديل الحمام
وغناء الصبا و وسوسة الحب     وهمس الهوى ونجوى الغرام
ودواء الضنى وتسلية الهم     و برد الحشا ورى ... الأوام
ليت شعري ما عفها عنه حتى     تركتني فريسة الأوهام
مرهف السمع للمسرة أشكو     برح وجدي لها وفرط هيامي
وأناجي أسلاكها بدموع     من فرادى منهلة وتوأم
وهي صماء لا تحيى بعينها     ولا حرقتي ولا آلامي
ما عليها لو أنها حملت عني     عتاباً إلى رشيق القوام (١)

وللشاعر إبراهيم برّي قصيدة راقصة وثابة نسوقها بلا تقديم :

هاتفك العاشق يسمعني     كلمات الشوق الملتاعه
يربطني في سماعته     فأظل بقرب السماعه
روحي بالسلك معلقة     و بصدري عشرون إذاعه
صوتك في الهاتف تغريد     حلو استعذب إيقاعه
يحملني بين جناحيه     بغلالة ريش لماعه
ووراء الغيم يراقصني     يعطيني يده وذراعه
يأمر عن بعد فألبي     فالأمر له ولي الطاعه
وإذا ما قلت: أنا آت..     يمتد الأنس على القاعه
وأحس فؤادي يغرب في     جنبي لدقات الساعه
وتصير أزاهر شرفتنا     تعطي أزهارا مضواعه
صوتك أعشقه [illegible] أعبده     وأحب نداه وسماعه
كم غازلني كم مازحني     فأزال الهم وأوجاعه (٢)

وللتلفون ذكر مكرر موصول في شعر نزار قباني وإنا موردون له قصيدتين كلتاهما

---

(١) أغاريد السحر.
(٢) ديوان عيناك.

بعنوان (تلفون) يخاطب في الأولى المحبوبة (اللثغاء) وما أحلى محادثة الألثغ فهو يحرف بعض الكلم عن مواضعه فينقلب خطأه إلى صواب لدى الأحباب (وكل ما يفعل المحبوب محبوب).

همستك الحلوة في الهاتف أحلى من المعزف والعازف
لثغاء .. قولي: إنني ذرة على عقيق الأحمر الواجف
لا تقطعي سحبة قيثارةعني.. دمي للموعد الخائف
حنجرة رائقة.. زقزقت في مسمعي، كالوتر الراجف
من صاحب الميعاد.. مجهولة تمثلت كالحلم الطائف
فم يناديني حنون الصدى إلى لقاء مزهر وارف
أكاد أستنشق رغم المدى رائحة القميص والسالف
لهاثها عندي... وأنفاسها عندي وحمى صدرها العاصف
قد التقينا قبل أن نلتقي على شريط، دافىء عاطفي
تفجر السلك ندى... واكتسى براعما من بوحك الخاطف
أن توجدي وحيدة ليلة فزقزقي.. قلبي على الهاتف

وفي قصيدته الأخرى يدعوها أن تكلمه ولو بالكذب فقد عادت لمحادثته بعد مقاطعة دامت خمسة أشهر كوامل، يقول:

صوتك القادم من خلف الغيوم سكب النار على الجرح القديم
مد لي أرجوحة من نغم ورماني نجمة بين النجوم
من ترى يطلبني؟ مخطئة.. فاتركيني لدخاني وهمومي
أنا جرح مطبق أجفانه فلماذا جئت تحيين هشيمي؟
رقمي، من أين جئت به تحت عصف الريح في الليل البهيم
بعد أن عاش غريبا مهملا بين أوراقك كالطفل اليتيم

كـيـف .. مـن بـعـد شـهور خمسة | عدت يا صاحبة الصوت الرخيم
حـبـنـا .. كـان عـظـيـمـا مـرة | وطـو يـنـا قـصـة الحب العـظـيـم
أتـقـــولين .. (أنـا آسـفـــة) | بعد ما ألقيت حبي في الجحيـم
لـم أعـد أخـدع يـا سـيـدتـي | بـالحديث الحـلو .. والصوت النغوم
صـوتـك الـعـائـد لا أعـرفـه | كان يوما جنتي .. كان نعيمي
حـلـوتـي .. بـالـرغـم ممـا قـلـتـه | فـأنـا ـبـعـدـ على حـبـي القـديـم
داعـبـي كـل مـسـاء رقـمـي | واصـدحـي مـثـل عصافير الكـروم
كـلـمـة مـنـك ولـو كـاذبـة | عـمـرت لي مـنـزلا فـوق الـنـجوم

وللشاعر السعودي غازي القصيبي في الهاتف قصيدة ماتعة، فالحديث مع المحب غير مملول مهما كان مستواه حتى وإن كان كلاماً بلا معنى:

حدثيني عن الهوى عن جحيم الشـ | ـوق عـن رعـشـة الـفؤاد المعذب
حـدثـيـنـي عـن الـضـلـوع التي | مـذ أقـبـل الليل لم تـزل تـتـقـلـب
حـدثـيـنـي عن الخيال الذي شا | د قـصـوراً على مـشـارف كـوكـب
و بـنـى جـنـة يـرتـل فيـهـا الشـ | ـوق لحـنـاً مـن الـسـعـادة أعـذب
أتخـيـلـت قـفـرة ضنّت السحب | عـلـيـهـا فـالأفـق جـوعـان أجـدب
عـذبـة الـصـوت ذاك حـال لـيـالـ | ـيَ إذا صـوتـك الحـبـيـب تـغـيـب

ونعود للشاعرة (روحية القليني) مرة أخرى من مصر، فقد مضى يومان دون أن تسمع صوته، وهي تتعجل الساعات وتتصبر للقاه وتغبط جارتها إذا صاح هاتفها وجلجل رنينه:

يـومـان لـم أسـمـع حـديـث هـواه | وتـبـعـثَـر اللـحـن الـذي أهـواه
مـاذا جـرى يـا هـاتـفـي إنّي هـنـا | وحـدي أعـيـش على صدى نـجـواه
أتـعـجّـل الـسـاعـات وهـي طـويـلـة | وأصـبّـر اللـهـفـات كـي ألـقـاه

لا تـتـركـنـي للـضـيـاع وأرسل — لحـن الهـوى يحـكـي حـديـث جـواه
انـقـل لـسـمـعـي صـوتـه مـتـرنمـا — فـالـلـيـل لحـن صـامـت لـولاه
و يـطـول لـيـل الـسـاهـرين على الشجى — وعلى الـدمـوع فآه مـا أقـسـاه

* * *

لـرنين هـاتـفـك الـشـجـي يـهز ليل دجوني
وخـلالـه صـوت كـأنـغـام الهـوى يشجيني
من أجل حبّك شاعري أحببت سهد جفوني
مـهـما يطل ظمأي وحرماني وطول حنيني
فـخـيـالـك الـسّـاري يمـر بـخاطري يحييني

* * *

فـمـتـى سـتـنـطـق قـد كـفـاني في اللظى يا هاتفي يومان
ذقـت المرارة والأسى في وحـدتـي وتخـاصـمـت شـفـتـان
إن صـاح هـاتـف جـارتـي ضـمّـتـه في لهـف إلـيـه يـدان
وأكـاد ألـثـمـه وأحـكـي في عـتـاب قـصـة الـتّـحـنـان
لـكـنـنـي أرتـد خـجلى لـيـتـه قـد كـان لي ودعـانـي
يـومـان سـاد الـصّـمـت في قـلـبـيـهـما واغرورقت عينان
وأنـا على قـلـقـي أذوب بـحـيـرتـي وأظـل في أشـجـانـي
هـلا تـرفـق هـاتـفـي وأذاعـه شـدوا بـغير لـسـان
خـطـرات قـلـب لاهـف .. فمتى ستنطق قد كفى يومان (١)

* * *

مَنْ يملك الهاتفَ يشغلْ به .. لا يطيق له بعدا .. فقلبه معلق به .. إذا غاب صوته ضاق « صدره وأحس بأسر الوجود » ..

---

(١) لك أنت.

والشاعرة ذات مزاج رقيق .. يعمها السرور كلما جاءها نبأ من صديق أو صوت من حبيب .. فحديثه «يموج مع الصبح عطرا يفوق شذاه الورود» .

ولصوت الهاتف في أذن الشاعرة المتشوقة نغمات عذبة ورنين محبب .. وللهاتف عند أصحابه مواعيد سرور .. وله في مطالع الأ يام سعد و بشير ..

وكم من صواحب للهاتف يحتضنه كالحبيب لا يطقن له شريكاً كأنهن يغرن عليه ! ..

وقد قالت الشاعرة معبرة عما يحمله قلبها من حب وعشق لرنين الهاتف بالكلمات التالية من قصيدتها «لا تشغلي الهاتف» :

تحفك

[illegible] لا تشغلي هاتفي ... فموعده الآن حلو الوعود

يناجي خيالي بأنغامه ... وأحيا بيوم جديد سعيد

فلا تشغلي الوقت وقتي له ... يشير فأغدو له ما يريد

ولا تدهشي إنه نبض قلبي ... وومض حياتي وسحر الوجود

وقصة عمري تترجم حبي ... وليس سواه قديم جديد

ودنياي تحلو به وحده ... لأن هواه هواى الوحيد

إذا مر يوم ولم ألقه ... ولو بحديث بدا من بعيد

حديث يموج مع الصبح عطراً ... وعطر يفوق شذاه الورود

فقلبي يضيق برحب الوجود ... وأحسب أني بأسر القيود

* * *

تحفك لا

ب[illegible] لا تشغلي هاتفي ... فأحرم من نغمات الرنين

ومن صوته في السكون يغني ... فيقطع باللحن صمت السكون

أعيش على الكلمات وأحيا ... بنجواه همسا يثير الشجون

أعد له في الخيال لقاء ... وأحفظه في سواد العيون

أسامح دنياي مهما قست ... وكل أسى في هواه .. يهون

خـيـال يـعـطـر كـل حيـاتـي | وكـــل لـــه في هـــواه شـــؤون
أنـا في انـتـظـار حـديـث الـقـلـوب | حـديـث الجـوى والهـوى والـفـنـون
فـلا تـشـغلي هـاتـفـي إنـه | حـديـث يـهـدهـد دمـعـي الحـزيـن
أخـاف إذا مـا أطـلـت الحـديـث | يـضـيـق وأخشى عـلـيـه الـظـنـون
فـيـحـسـب أنـي تـشـاغـلـت عـن | هـواه الـذي صـنـتـه في الجـفـون
ولــو أنــه واثــق أن قـلـبـي | لـغير هـوى مـلـهـمـي لـن يـكـون.(١)

* * *

ومازالت عينها على الهاتف وسمعها معه .. تطير إليه مسرعة .. عندما تدق الساعة مؤذنة بالرابعة .. «حديث رقيق يهز المشاعر.. ما أروعه» !! .. «ففيه حنان يذيب الصخور» .

«تـعـود سـمـعـي شجـى صـوتـه | على نـغـمـات الهـوى والـشـعـور»

الهاتف أيضا .. ودائما الهاتف .. العين عليه ، والسمع إليه ، والكلام منه وفيه والحديث يطول في «الحكايات المشرقات» ..

ليت شعري ماذا كان الناس فاعلين بلا هاتف ؟

لقد حق للشعراء أن يقولوا «فيه» و«به» بالألوف ..

.. عفوا ... بل وأن تقول «الشواعر» عَبْرَه ما تقول .. وطارت الشاعرة (روحية القليني) إلى هاتفها مسرعة على نغمات الهوى عبر حديث رقيق يهز المشاعر والأحاسيس فقالت قصيدتها (الساعة الرابعة) :

إذا نـطـقـت سـاعـتـي أربـعـه | أطير إلى هـاتـفـي مـسـرعـه
أديــر على لَهـفـات الـفـؤاد | دوائــر سـتــاً لـه طـيـعـه
وحين يــرد أقـول بـشــوق | إلـيّ حـكـايـاتـك الممـتـعـه

---

(١) ديوان حنين ــ قصيدة .. لا تشغلي الهاتف .. لروحية القليني .

فيحكى حكاياته المشرقات | وأصغى بقلبي كأني معه
وأستاف عبر الأثير شذاه | يعطر جو المنى في دعه
وعبر الأثير حديث رقيق | يهز المشاعر ما أروعه
وأصمت والقلب يهيض وجدا | أطيل السكوت لكي أسمعه

إذا مر يومٌ بعمر هوانا | ولا نلتقي فيه عبر الأثير
أكاد أجن أضيق بيومي | ونومي من العين شوقا يطير
وأسأل كل الّذين أراهم | كأن الحبيب مضى من شهور
ولست بطول السؤال أبالي | لما قد يجول وما قد يدور
تعود سمعي شجى صوته | على نغمات الهوى والشعور
تعود قلبي هوى وده | ففيه حنان يذيب الصخور(١)

ونظل مع ليل الهاتف الرّوحي، الهاتف السهران كالعاشقين.. يسري عَبْرَ الليالي فهو رسول السحر، وفيه نبض فؤاد المحبين. على رغم الحذر من العاذلين وهو يزيل الملال، ويمحو الضجر. وكم من أناس لا مؤنس لوحدتهم غير هذا الأنيس وما حيلة ذوي الكبرياء في الحب، وذوات الكبرياء في الهوى وما أحلى وأعذب كلمة (ألو) برنينها الساحر.. عبر الأثير تمحو الضجر من سكون الليل ووحشته.. وتزيل الملال والهموم لأناس لا مؤنس لهم غير هذه الكلمة:

وفي الليل يسري رسول السّمر | أقول (ألو) فهل من خبر
وعبر الأثير وجيب فؤاد | يترجم حباً برغم الحذر
تكلم لعلّي بصوت حنون | أزيل الملال وأمحو الضجر(٢)

والعشق والجمال والأحلام و«الهواتف» كلها من شواغل نزار قباني بكلامه الهامس كنجوى السحر، مما يعتاده هذا العاشق أبداً.. ولا يسع ذلك كله حديث هاتف، ولا ديوان من شعر.. وإنما هي حياة كلها حب وشعر.. ووصف لأطايب

---

(١) ديوان عبير قلب.. قصة الساعة الرابعة.. روحية القليني.

(٢) ديوان أنغام حالمة.. قصيدة كبرياء الحب.. روحية القليني.

الحسن، و«عربدة».. وكيف يشاء.. وقاموسه الحلو.. لا يخطئه المذاق.. فكل ألوانه من «اللازورد» والأرجوان، وكل عطوره من ذوب يحسُّ ولا يُصْنَع، وكل ما عنده من ذات نفسه الهمسة، والعازف، والدرة، والأحمر، والوتر، والحلم، والبراعم، والأنفاس، والسالف، والقيثارة، وقد تفجر «سلك الهاتف» ندى واكتسى «براعما».. فقلبه على الهاتف.. لا يزال.. كما هو نزار قباني.. نشوان.. يرى في الغزل العبادة، والوطن، والحياة...

ويصف شاعر الريف السعودي (مفرح السيد) المتيم ذو الحس المرهف.. والوجدان، ويعبر عن لهفته وارتجاف قلبه ومشاعره حين التقى بالمحبوبة في لقاء خاطف كالنغم الحالم عبر الهاتف يقول:

| | |
|---|---|
| طلبتها في الهاتف | في لهجة كالخائف |
| فجاءني كلامها | كنغم من عارف |
| في رقة فتانة | تثير من عواطفي |
| قلت لها من هذه | ألست بنت الناصف |
| قالت نعم من ياترى | يطلبني في الطائف |
| فقلت شخص مغرم | غرامه كالعاصف |
| فخلت منها بسمة | تبدو على الشفائف |
| قالت أما ودعتني | يوم اللقاء السالف |
| فقلت إني راحل | فزدت في مخاوفي |
| وجاء صوت قاطع | وإن بدا كالآسف |
| قد انتهى قد انتهى | وقت اللقاء الخاطف |

* * *

ومسك الختام رائعة الشاعر السوري الشهير الجهير «عمر بهاء الدين الأميري»، فقد كتبت رقم هاتفه بميل مكحلتها، ثم كان حديث بينهما، والحديث ذو شجون وفنون وفتون:

القرص دار وصوتي في تهدّجه ... يكاد في الأذن يلقى وجده نارا
وقد رأيتك رغم البون مقبلة ... والصب أنفذ خلق الله أنظارا
أحسست من صدرك الظمآن وقدته ... كأنما جمره في أضلعي ثارا
وحار قولي وكم في النفس من فكر ... حارت وكم من هوى في القلب قد حارا
كتبت بالمرود الغالي الذي لثمت ... شفاهه عينك الخضراء تكرارا
عليّ من راحها رشف وغلغل في الشفاه رأس لسان في اللمى دارا
المرود المستمد العطر أنمله ... من عطرك اللذ حتى صار معطارا
المرود (الناثر) الكحل الدقيق على ... جفنيك سحرا وإغراء وأشعارا

* * *

كتبت والثغر مزدان ببسمته ... والقلب يزفر في الأضلاع قيثارا
كتبت في هاتفي أرقامه فسرى ... بين الهواتف خفق القلب تيارا
يا أخت همي وحرماني وموهبتي ... ماذا أبثك؟ أجّ القلب أسرارا
هل انقضى المبدأ المكنون في خلدي ... في الروح والعقل إيمانا وإكبارا
هل ألبس العمر نكرا بعد عفته ... وأعقب الصّبر آثاما وأوزارا
أم أمسك الداء قد جالت قواصمه ... حمى بجسمي وآوصالاً وأغوارا
أحيا على ظمأ، والكأس مترعة ... تدعو فمي ودمي المكبوت قد فارا
بركان قلبي عز الصّبر يمسكه ... يكاد يقذف بي في الكون إعصارا
يا أخت همي وحرماني ومشكلتي ... أشكو إليك كما تشكين أقدارا
بين الهدى والهوى ذابت حشاشتنا ... قتلاهما نحن، ممن نطلب الثارا (١)

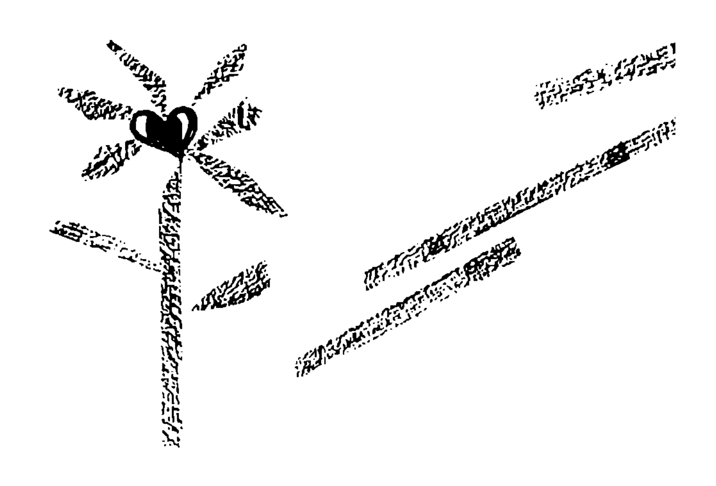
* * *

(١) ألوان طيف.



# ٤

# الريح وصلتها بالحب والأشواق والعواطف




Twitter: @abdulllah1994

# ٤

## الريح وصلتها بالحب والأشواق والعواطف

أيها السادة اسمحوا لي قبل أن أختم موضوعي أن أتحدث عن الريح، وصلتها بالأشواق والعواطف؛ ولا شك في أنها وسيلة رابعة طالما استعملها المغرمون والعشاق، واتخذوها بريداً لنقل عواطفهم، وإيصال أشواقهم إلى عشاقهم ومن فتنوا بهم، تلكم هي (الريح) التي طالما حمّلوها سلامهم أو استشموا عبرها ريح الحبيب.

ولا أبالغ إذ أقول ربما كانت الريح من أقدم وسائل الاتصال بين المحبين، ولا غرابة أن تعبر عن الحب والأشواق والعواطف مادامت شقيقة للروح والريحان.

بل ومما يلفت النظر في هذا المجال أن الريح هى الوحيدة التي تغنّى بها الشعراء قديماً — أقدم من البرق — وخاطبوها طالبين منها توصيل السلام والشوق، ونقل لواعج الغرام. وكثيرة تلك المطالع المغنّاة التي كانت الركبان تحدو بها، وكان الأحباب يتغنون بها، ولي أن أضرب مثلاً على ذلك المطلع الشعبي المغنّى في بعض الديار الشامية:

«يا ريح ودّي سلامي إن جيتِ نحو الدار
حي المنازل، وحي ساكنين الدار».

* * *

ونعود إلى التليد والجديد في حديث الريح. فبعض الشعراء الجاهليين يطلق على

الرياح اسم «الرامسات»، لأنها تغطي الأطلال بالأتربة وتذرو عليها الرمال، وهي تسمية يطلقونها على الناقة أيضاً لصلة بينهما.

وأكثر الرياح في الشعر الجاهلي هى ريح الشّمال، وتكاد تبلغ نسبتها بين جميع صور الرياح ثلثين من مائة.

وصورة هذه الريح في الشعر عبوس جهام، صِرّ في الشتاء على حد قول النابغة وهو يشبه ناقته بثور متوحش في وحوش وجرة ــ وهي فلاة بين مكة والبصرة ليس فيها منزل فهي مربّ للوحش ــ أمطرت عليه السماء ليلاً وساقته ريح الشمال العاتية، يقول:

| | |
|---|---|
| كأن رَحْلي وقد زال النهار بنا | يومَ الجليل على مستأنس وَحَدِ |
| من وحش وَجْرَة مَوْشي أكارعه | طاوي المصير كسيف الصقل الفردِ |
| أسرت عليه من الجوزاء سارية | تزجي الشمالُ عليه جامِدَ البردِ |

وريح الشمال ريح تزوي الوجوه، تأتي من قبل الحِجْر ــ منازل ثمود ــ و يعتز الشعراء بأن أقوامهم يطعمون الفقراء عندما تهب ويملأون الجفان بالإبل السّمان.

والشمال شديدة اللفح في الصيف، سهام تثير الغبار، فتعفّي على الطلول.

وقد يسمّى الشعراء هذه الريح بالريح الشامية(١). وتقترن هذه الريح بذكر الغراب فكأنها الغربة والابتعاد، وقطع الوصال. وفي شعر عبيد بن الأبرص(٢) قصيدة يربط فيها الشاعر بين هذه الريح والغراب، فكلاهما شؤم:

وأبو الفراخ(٣) على خشاش هشيمةٍ    متنكباً رابط الشمائل يَنْعَبُ

وريح الشمال تحمل رسائل المحبين، يقول أبو نواس:

---

(١) أنظر ديوان طرفة ٩١١، وعمرو بن قميئة ٤٤، و بشر بن أبي خازم: ١٨.

(٢) الديوان: ص ٣١.

(٣) الغراب.

هـبـت لـنـا ريـح شـمـالـيـة — أتـت إلى الـقـلـب بـأسـبـاب
أدت رسـالات الهـوى بـيـنـنـا — عـرفـتـهـا مـن بين أصـحـابـي

وثانية الرّياح هي الصّبا، وتبلغ نسبة ورودها في الشعر زهاء ثلث ونصف الثلث في المائة و يصوّرها الشعراء ريحاً رخية (غير قرّة)(١)، تهبّ نَسَمَاً وتهبّ هوناً، و يشبه بها الشعراء عبق النساء، ويجعلونها محمّلة بنفح المسك، وأريج القرنفل، يقول امرؤ القيس:

إذا الـتـفـتـت نَـحْـوي تـضـوّعَ ريـحُـهـا — نـسـيـم الـصّـبـا جـاءت بـريـا القرنفل

و يقال لها الرّيح الرّخا، يقول امرؤ القيس أيضاً:

رُخـاء تـسـحُّ الـريـحُ في جـنـبـاتـهـا — كـسـاهـا الـصّـبـا سَحْقَ المُلاء المُذَيَّلِ

و يقال لها الجنوب والغربية، وهي أشرف الرياح لما اشتملت عليه من اللطف والطيب اتخذها أهل المحبة رسولاً إلى الأحباب وللصّبا موقع خاص من العشاق ومنزلة رفيعة لديهم، يقول مهيار(٢):

يـا نـسـيـم الـصبـح من كـاظـمـة — شـد مـا هـجـت الجـوى والـبـرحـا
الـصّـبـا إن كـان لابـد الـصّـبـا — إنـهـا كـانـت لـقـلـبـي أروحـا

وهم يسألون النسيم عن أحوال الحبيب، و يستفسرون منه إذا غاب عن ناظريهم يقول أحدهم:

قـد سـألـت الـنـسـيـم وهـو خـبـير — بـسـؤالي إذ غـاب وجـهـك عـنـي
قـلـت هـل ورد خـديـك غـضّ — قـال: قـد ضـاع نـشـره قـلـت: مـنّي

---

(١) أنظر ديوان طرفة: ١١٩.

(٢) مهيار بن مَرْزَو يه، شاعر كبير في معانيه ابتكار، وفي أسلوبه قوة. متوفى سنة ٤٢٨ هـ ١٠٣٧م.

و بعضهم يراه دواء لأسى العشاق:

يداوي أسى العشاق من نحو أرضكم ... نسيم صبا أضحى عليه قبول
بروحي من ذاك النسيم إذا سرى ... (طبيب يداوي النّاس وهو عليل)

وكأنه البريد ينتظره المحب بفارغ الصّبر، فيرسل مع هبوبه تحياته وأشواقه، ولكنها خرساء صماء وهذا مما يزيد ألمه، و يقرّ بكثرة الأشواق واللواعج التي لا يخمدها سوى القرب:

وكم لي إذا هب النسيم تحية ... إلى نحوكم لو أنها تتكلم
وعندي من الأشواق مالا يزيله ... سوى قربكم لا أوحش الله منكم

وحكى العلامة الزمخشري في الكشاف أن (ريح الصبا) هي التي تبلغ الأنباء للأنبياء عليهم السلام وذكر الواحدي في تفسيره (الوسيط) أن ريح الصبا هي التي أرسلت ريح يوسف إلى يعقوب عليهما السلام عند قوله (إني لأجد ريح يوسف لولا تُفَنّدُون).

ولذلك نجد العشاق يستخدمون هذه الرياح في حمل السلام وإبلاغ التحية.

استخدم الريح في حمل السلام لكم ... كأنما أنا في عصري سليمان
كأن يعقوب أنبأني بقصته ... فللصبا عند قلب الصب أشجان

ومن ألطف ما قيل في هذا، قول أحد الشعراء:

إن كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النّسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو عليهم ليتني ... كنت اتّخذت مع الرسول سبيلا

و بعضهم يمزج ريح المحبوبة بريح الصّبا بريح الخزامى بللها القطر فتجتمع الريح متبّلة ممزوجة بريح المحبين:

فلو كنتِ ريحاً كنت رائحة الصّبا ... بريح خُزامى عالج بلّها القَطْرُ(١)

---

(١) المصون في الأدب: ١٩٨ مكتبة الخانجي، دار الرفاعي ١٤٠٢ هـ ـــ ١٩٨٢ م.



وثالثة الرياح هي الجنوب، وتقترب نسبة ورودها في الشعر الجاهلي أكثر من الثلث بقليل، وهي تصوّر الغيوم الحوامل (اللواقح) وتأتي بالمزن الكثير يسحّ الماء منها سحّاً.

وتشارك ريح الجنوب في تبليغ ما يقوله عاشق لا تنام له عين لأحبابه، ومن ذلك للقاضي الجرجاني:

يا نسيم الجنوب بالله بلغ ما يقول المتيم المستهام

قل لأحبابه فداكم فؤاد ليس يسلو ومقلة لا تنام

وقد تصوّر قسوتها حينما تعبث بالأطلال؛ و يسميها بعض الشعراء بالريح اليمانية فهبوبها من اليمن، و بين البرق والمطر واليمن رابطة قوية وأحد شعراء اليمن الفحول يطلب من الريح حمل رسالة إلى المحبوب، ويحمله المزيد، قال الشاعر القاسم ابن هتيمل [1]:

قل يا نسيم لأهل الضّال والسّمر ما صدّ سامركم عن ذلك السّمر

واشرح حديث الغضا والنازلين به وإن بخلت بشرح الكل فاختصر

ورابعة الرياح هي الدبور التي لا تكاد تظهر في الشعر إلا سافية ترمس الأطلال، وتهيل عليها الرياح. (ديوان بشر بن أبي خازم ص ٩٤).

وخامستها النّكباء، وقد سمّاها الشاعر التميمي سلامة بن جندل المصرية، لأنها تهب من مصر، وتحدّث عن المطر الذي تحمله الريح المصرية فتهتك بيوت النعاج، وتملأ السواقي، وتتدافع السيول من فوق الجبال تجترف النبت والشجر (الديوان ص ١١).

أيها السّادة أرجو ألا أكون قد أدخلتكم في متاهات دائرة الأرصاد الجوّية،

---

(١) القاسم بن علي بن هتيمل من ناحية المخلاف السليماني. مدح ملوك عصره، وهو أحد أدباء اليمن الكبار، عاصر الملك المظفر ومدحه.
وله ديوان شعر، جمع العقيل مختارات منه، وطبعها، ومنه عدة نسخ خطيّة. أنظر: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ص٣٢٠.

لكنها الريح، وما تحمله من أشواق المحبين وأنفاسهم.

وهذا شاعر الهوى والهيام العباس بن الأحنف يخاطب المحبوب طالبا أن يرد عليه السلام بواسطة الريح:

وإني لأستهدي الرّياح سلامكم إذا أقبلت من نحوكم بهبوب
وأسألها حمل السّلام إليكم فإن هي يوماً بلغت فأجيبي

وقد شغلت الريح حيزاً من دواوين الشعراء قديماً وحديثاً وأغلبه حديث الشوق والحب، أو حديث القوة وضرب الأمثال، وهذا حديث قديم جديد، ومنذ أن سخّر الله الريح لسليمان، ومنذ أن جاء ذكر هذا في القرآن الكريم، لا يفتأ الشعراء يذكرون تلك الريح أيضاً، انظروا معي إلى الريح الطائعة التي يصفها أحمد شوقي في ديوانه وهو يخاطب بلقيس: (١)

وأتتكِ الرّيحُ تمشي أَمَةً(٢) لكِ يا بلْقَيْسُ(٣) من أوفى الإماء
روّضت بعد جماحٍ أشبهتْ خيلَ جبريلَ لنصر الأنبياء

وما هو بالحديث المرجّم إنه استهلال الحديث ليتحدث عن الطائرة بريد البر والبحر:

وبريد يسحب الذيلَ على بُرُد(٤) في البر والبحر بطاء
تطلع الشمس فيجري دونها فوق عنق الريح أو متن العماء(٥)
لسليمانَ بساطٌ واحدٌ ولهم ألف بساط في الفضاء

---

(١) الديوان ج ٣ : ١.
(٢) مملوكة.
(٣) بلقيس صاحبة نبي الله سليمان الذي سخرت له الريح.
(٤) برد: ج بريد. و بطاء بطيء.
(٥) العماء: السحاب المرتفع الكثيب أو الممطر.

و بعد فيا أيها القراء الأعزاء هذا حديث عن البرق والبريد والهاتف سقته لكم اليوم لتعلموا أهمية هذه الأقانيم الثلا ثة وليعلم قبلكم العاملون في هذه الأجهزة أنهم مؤتمنون على أهم شيء لدى الإنسان وهى الأسرار والأشواق وما تحتو يه ضمائر المحبين وتكنه صدور العاشقين. فوزارة البرق والبريد والهاتف هى وزارة الحب والأشواق والعواطف قبل أن تكون وزارة الأسلاك والفواتير وأعمدة الحديد وخياش البريد كما يحلو لخصومها أن يصفوها به. والريح، اعلموها بساط المحبين، و بريد العاشقين كذلك.

عبدالرحمن المعمر

من عصبة الأدباء



# مصادر البحث


| | |
|---|---|
| ١ ــ فيض الخاطر | أحمد أمين |
| ٢ ــ رحلة الشتاء والصيف | محمد بن عبدالله الموسوي |
| ٣ ــ قصة الأدب في اليمن | أحمد محمد الشامي |
| ٤ ــ ديوان عيناك | ابراهيم بري |
| ٥ ــ ديوان معا | ميشال نعمة |
| ٦ ــ أغاريد الصحراء | طاهر زمخشري |
| ٧ ــ رباعيات صبا نجد | طاهر زمخشري |
| ٨ ــ ٥ دواوين العقاد | عباس محمود العقاد |
| ٩ ــ أغاريد السحر | علي الجندي |
| ١٠ــ ديوان الخطيب | فؤاد باشا الخطيب |
| ١١ــ ديوان السلطانين | محمد أحمد عيسى العقيلي |
| ١٢ــ ديوان صيدح | جورج صيدح |
| ١٣ــ ديوان المعلوف | شفيق المعلوف |
| ١٤ــ ديوان الشعر الكويتي | محمد حسن عبدالله |
| ١٥ــ ديوان ألوان طيف | عمر بهاء الدين الأميري |
| ١٦ــ ديوان الأعمال الكاملة | نزار قباني |

| | |
|---|---|
| ١٧ــ ديوان تسابيح قلب | عزيز أباظة |
| ١٨ــ ديوان هواجس | أحمد الصافي النجفي |
| ١٩ــ ديوان الشوقيات | أحمد (بك) شوقي |
| ٢٠ــ ديوان أبيات غزل | غازي القصيبي |
| ٢١ــ ديوان العباس بن الأحنف | العباس بن الأحنف |
| ٢٢ــ مجلة الأديب البيروتية | عدد (١٢) السنة الثالثة |
| ٢٣ــ مجلة قافلة الزيت | عدد ذي الحجة ١٣٩٧ |
| ٢٤ــ ديوان في ظلال السماء | محمد هاشم رشيد |
| ٢٥ــ وحي الفؤاد | فؤاد شاكر |
| ٢٦ــ ديوان عبير قلب | روحية القليني |
| ٢٧ــ ديوان حنين إلى... | روحية القليني |
| ٢٨ــ الطائر الجريح | ابراهيم ناجي |
| ٢٩ــ ديوان على الأرض السلام | محمد الجيار |
| ٣٠ــ ديوان خليل مردم بك | منشورات المجمع العلمي لدى دمشق |

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


مطابع سحر


Twitter: @abdulllah1994



# المؤلف

- ولد بقرية سدوس بنجد عام ١٣٥٨ هـ .
- نشأ وترعرع وتلقى تعليمه بمدينة الطائف ولهناك تفتحت نفسه على الطبيعة الساحرة والخيال الخلاب .
- بدأ حياته العملية موظفاً حكومياً بديوان رئاسة مجلس الوزراء ثم تولى رئاسة تحرير صحيفة الجزيرة فترة من الزمن .
- عمل كبيرًا للمراسلين لوكالة الأنباء السعودية .
- عضو في جمعيات وأندية ومؤسسات تعنى بشؤون الثقافة والفكر مثل جمعية الآثار جامعة الملك سعود بالرياض .
- عضو في مجلس إدارة مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر .
- له كتاب مطبوع بعنوان " المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر " وله كتب أخرى تحت الطبع .
- شارك في عدة مؤتمرات وندوات دولية في الداخل والخارج .
- في عام ١٤٠٠هـ أسس مجلة عالم الكتب مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي .